مقالات
في صميم الثورة السورية
ردود وتعقيبات

"الشبكة العلمائية الدمشقية"
بين افتراءات
"ليلى_بيريه"
والتاريخ العريق و التجربة المعاصرة
بإشراقاتها..و تحدياتها..

بقلم

محمد محيي الدين حماده الغنيمي الدمشقي الميداني

D المقال في سطور ملخصاً y

قبل البدء في المقال أجد من الخير أن اختصره في فقرات تغطي أفكاره من المبتدأ إلى المنتهى؛ لا سيما بالنسبة لمن اعتاد القراءة الصحفية بعيداً عن التحليلات والغوص في الأعماق والإيماءات:

- الأخت ليلى ليس بيني وبينها أدنى معرفة أو علاقة سوى أخوة الإسلام التي تجمع كل المسلمين.
- الرد ليس ذوداً عن تيار أو شخص أو مؤسسة، لكنه دفاع عن حصون ورموز وحقائق وذلك بكل موضوعية وشفافية؛ لأن من واجبنا الذي ندين الله عز و جل به أن نبني ونرمم لا أن ننسف ونهدم، وأن نجمع ونقوي لا أن نفرق ونضعف،فكيف إذا كنا في مثل هذه الظروف القاسية التي تمر بها أمتنا.
- استخدام مصطلح "الشبكة" لدى الكاتبة يشي بالكثير من الإساءة للعلماء؛ لأنها في عرف هذا العصر تستخدم في نشاط شبكات عصابات المخدرات وغسيل الأموال والدعارة والجاسوسية

و..إلخ!. ويبدو أن انتشار شبكة عالمية تعمل على هدم المؤسسة العلمائية السورية والإسلامية في هذا العصر جعلت من السهل على بعض الكاتبين استخدام مصطلح "شبكة" للنيل من علمائنا ومؤسساتنا ورموزنا !.

- عنونت الكاتبة "بالعلمائية الدمشقية" ثم جعلت في صورة الغلاف خامنئي وهو فارسي صفوي مجوسي عابر للقارات وفوق ذلك ليس بعالم، ثم جعلت في الصورة نظيره في العلم الشبيح الوصولي محمد عبد الستار السيد القادم من طرطوس!.
- العنوان تحدث عن "القصة الكاملة"، لكنها لم تكن كذلك، بل كانت ناقصة، وكانت مجتزأة لا سيما في اختصار قراءة المشهد من خلال علماء دمشق دون النظر إلى الأوساط العلمية والسياسية والإيديلوجية الوافدة والديكتاتوريات القائمة التي تحيط بهم داخل سورية وخارجها !.كما كانت الكتابة تتمحور حول الخلافيات، وفوق ذلك فإنها ركزت على علاقة العلماء بالسلطة وصولاً إلى علاقتهم بالثورة، وفي هذا ما فيه من ضياع أثمن شيء في أي بحث ألا وهو الحقيقة!.وهل ثمة ما هو أغلى من الحقيقة؟ !.

- وصفت الكاتبة مقالها بأنه بحث شامل ثم أدخلت فيه الحالة العسكرية بعد السياسية، فما علاقة العلماء بالعسكرة التي ليست من اختصاصاتهم، ولم تكن في يوم من الأيام من أدبياتهم ؟!.
- وصفت مقالها بأنه استقصائي فمن هم أولئكم الذين استقصت آراءهم؟وما هي أسماؤهم ؟ وما هي مصداقيتهم؟ وكيف تستقصي بحثاً وأصحابه على قيد الحياة دون أن تسألهم؟! وأكثر من جاءت على ذكرهم يعيشون على مقربة منها في استانبول ؟!.لا بل كيف تشهد على الأحياء دون أن تسألهم وتستفسر منهم أو تطلب شهادتهم على العصر؟!.
- في المقال تضخيم للسلبيات بشكل متعمد ومقصود !.
- الإجحاف في حق العلماء حين لم يقدم المقال سوى معلومات متواضعة عن إنجازاتهم، ثم عمد إلى التعامل مع إيجابياتهم بنظرة ريبة هي أقرب إلى التشكيك والإجحاف منها إلى الثقة والإنصاف !.
- صدرت المقالة كلماتها بجملة:"دمشق أرض التناقضات" تمهيداً لضخ العديد من التناقضات التي تسعى الكاتبة إلى ترسيخها في ذهن القارئ الكريم في قالب واحد من الحب إلى الكره، ومن

التعاون إلى الانزواء، ومن التنافس في الخير إلى التنافس على الدنيا، ومن التماسك إلى الانهيار، ومن التحصن إلى التشظي، وكل ذلك داخل نشاطات النخبة العلمائية في دمشق، فما أكرمه من مقال يصف عاصمة الأمويين ورجال الخير فيها بهذه الأوصاف المتناقضة على وجه التعميم دون استثناء !!

- "الشام أرض التناقضات "هل هذا من الوفاء أو العقوق لمدينتنا التي ولدنا فيها وترعرعنا في جنباتها، والتي قادت الدنيا يوماً زمن الأمويين، والتي كانت ركناً من أركان الحضارة الإسلامية في كافة العصور، بل وقدمت لنا أروع الأمثلة في التوازن والتعايش والتلاقح بين كافة الأطياف والمكونات.!
- المقال يزعم أنه يتصدى لعملية الإصلاح في المؤسسات العلمائية الدمشقية!.
- وإذا كنا منصفين فنحن بحاجة إلى رحلة إصلاح، لكن الذي يتصدى لهذه المهمة هم البناؤون الماهرون، والغيورون المتجردون، لا الهدامون أو المرضى النفسانيون أو الموظفون الذي ينفذون ما يؤمرون.

- عملية النقد و الإصلاح تحتاج إلى التخصص والشفافية و الإخلاص لله تعالى بعيدا عن حظوظ النفس وشهواتها وأهوائها.
- بالرغم من إقرارنا بأسلوب الكاتبة القصصي الجذاب في المقال فإنها لم تملك من أدوات البحث العلمي شيئاً مكتفية بالسرد التاريخي دون توثيق، وبالطعن دون تجرد أو دليل، وبعرض وجهة نظر واحدة دون تقديم الأخرى!.
- المصدر الرئيس للكاتبة مستشرق غربي اسمه "توماس بيريه"، الذي لا صلة له بالوسط العلمي أو الدعوي أو الدمشقي، وفوق ذلك جعلت كلامه مرجعية معصومة لا تقبل النقاش!.
- الكثير مما أوردته الكاتبة غير صحيح ولم يقع ولم يثبت بل الذي حدث هو خلافه، من نحو زعمها أن دماء فضيلة الشيخ أسامة الرفاعي _حفظه الله ورعاه_ قد سالت على محراب جامع الشيخ عبد الكريم الرفاعي، وأن ذلك كان سبب تصدره للمشهد العلمائي لاحقاً !.
- اعتمدت الكاتبة لغة التعميم في إطلاق الأحكام في كل ما أوردته من بداية المقال إلى منتهاه، والتعميم لغة الحمقى !.

- غمزت ولمزت من قناة أن المؤسسات العلمائية ليست على انسجام فيما بينها وذلك ضمن تعميم جديد لا يميز بين مؤسسة نهضت على أسس العلم والفكر، وأخرى صنعها على عينه حزب البعث الماسوني الإلحادي الإرهابي المجرم !.
- تحدثت عن شراكة بين العالم والحاكم ضمن تعميم مقيت آخر لم يستثن المؤسسات التي لم تداهن إرهاب النظام أو العلماء الذين وقفوا في وجه الطاغية الظالم فاعتقلوا أو عذبوا أو استشهدوا أو لوحقوا أو ضيق عليهم فهاجروا، أو أقاموا على منهجهم على مضض !!.
- لم تُوفَّق الكاتبة في ذكر ثنائية تناولت فيها العلامة السباعي ومفتي البلاط كفتارو.
- عرَّضت بالمجلس الإسلامي السوري زاعمة أن رابطة علماء الشام تهيمن على المشهد فيه.
- انطلقت في كثير مما كتبت من تصورات خاطئة زرعت في ذهنها زرعاً!.
- استخدمت ألفاظاً لا تليق بالأدب مع العلماء من نحو لقب "شيخ

التجار"في حق فضيلة الشيخ سارية الرفاعي _حفظه الله ورعاه.

- تحسين الظن -الذي دعانا إليه الله عز وجل- لم يجد له سبيلاً إلى الكاتبة أو مقالها.!.
- التعريض بمن عمل في الإغاثة أو خدمات الشعب السوري الاجتماعية من أبناء مؤسسات دمشق العلمائية كان جزءاً من سهام المقال!.
- استخدمت في حق العلماء الأجلاء ألقاباً كنسية من نحو (العرابون)، أو سوقية -نسبة إلى الأسواق- من نحو (المقاولون) !.
- المقالة تتنافى في افتراءاتها وتعميماتها واستنتاجاتها وإطلاقاتها وسلبية الفترة الزمنية الطويلة التي تناولتها مع الخيرية التي عليها الشام وأهلها وعلماؤها !.
- مؤسساتنا العلمائية بأذرعها الدعوية والإغاثية والاجتماعية هي حصوننا التي نتحصن فيها، وننطلق منها، ونعود إليها، لذا من واجبنا أن نحافظ عليها، ونرممها، لا أن ننقض المعبد على من فيه !.
- المقالة مبطنة تبطيناً خبيثاً لهدم المجتمع العلمائي الدمشقي، وصولاً إلى هدم المجتمع العلمائي السوري!.

- المقالة في مزاعمها وبهتانها وتقوّلها على العلماء ما ليس فيهم فتحت شهية غلاة العلمانيين الذين تجرؤوا بفعل مقالة (ليلى _بيريه) على علمائنا ورموزنا لا بسائق النقد والإصلاح بل بباعث الكراهية العمياء للإسلام الذي يحمل مشعله هؤلاء العلماء !.
- نصيحة صادقة أتوجه بها إلى أختي الكاتبة بالرغم من مخالفتي لها في معظم النقاط.
- تُصر الكاتبة على إقحام المؤسسة العلمائية الدمشقية بالعمل العسكري الذي لا تجيده ولا تمارسه، دون أن تنتبه إلى أن منظومتنا العلمائية كأي مؤسسة مجتمع مدني تؤيد عن من يذود عن شرف الأمة، ويرد العار عنها، ويحقن دماء جماهيرها، إلا أن "ليلى_بيريه" تتلون عباراتها جاهدة في سبيل توريط المجلس الإسلامي، والزجِّ بأبرز مكوناته من نحو مؤسسة مساجد زيد وربطها _عن طريق ليٍّ عنقِ الحقيقة _بفصيل أجناد الشام العسكري مرجعية وتسليحاً وتمويلاً، ومن نحو زجِّ مسجد الشافعي بالجولاني مع أن البُعد بين النّهجين بُعدَ السماء عن الأرض، و هكذا..!.
- لم تتناول الكاتبة ظاهرة التكفيريين والغلاة الذين خرجوا من سجون

دمشق وبغداد أو قدموا من وراء الحدود، ثم فرغوا شحنات حقدهم في أهل الشام ووسطيتهم ومذهبيتهم في حرب ضروس سارت جنباً إلى جنب مع حرب النظام على أهل الشام !. كما لم تتعرض الكاتبة لتصدي المؤسسة العلمائية الدمشقية والسورية لتلك الظاهرة الغريبة عن جسدنا ووسطيتنا في شامنا وأمتنا، لا بل لم تتناول استهداف غلاة المتطرفين التكفيريين للمؤسسة العلمائية الدمشقية على نحو ما تستهدفها الكاتبة تماماً !.

- عيرت الكاتبة المؤسسة العلمائية الدمشقية بدعوى انخراطها في العمل السياسي دون أن تنتبه إلى أمور:

الأول: أن العمل السياسي هو حق كل مواطن بما في ذلك العلماء وطلاب العلم إن أحبوا أن يعملوا فيه.

الثاني: أن تعيير العلماء لدى إقدامهم على العمل السياسي هو رؤية علمانية رهبانية مجحفة، ولا رهبانية في الإسلام .

الثالث: أن تلك المؤسسات لم تقر بعملها في المجال السياسي الذي هو حقها فيما لو شاءت باستثناء جماعة العلامة السباعي التي قامت منذ نشأتها الأولى على سد ثغرة الأمة في هذا المجال.

الرابع: أن الكاتبة تصر على تسمية الأستاذ:"باسل هيلم " ناشطاً سياسياً لصالح مكتب زيد السياسي الذي ليس له وجود!.وليس في هذا عار على الجماعة فيما لو كانت تعمل بالفعل في المجال السياسي، لكن المشكلة أن الجماعة تنفي والكاتبة تصر على إقحامها في ساحة لم تعمل فيها بعد !.

كما تصر كاتبة المقال على وقوف رابطة علماء الشام وراء تأسيس الائتلاف في لخبطة تخبط بها خبط عشواء من خلال إصرار من وراء إصرار بلا بينة ولا تمحيص ولا تثبت ولا إثبات؛ تؤدي فيه الكاتبة دوراً مشبوهاً أو غبياً في عملية التدمير التي باتت تجيدها !.

- لم تنتبه الكاتبة إلى تجذُّر المؤسسات العلمائية الدمشقية بالرغم من كافة الأزمات والعواصف والزلازل التي نزلت بها، وإلى عودتها من كل محنة أقوى من ذي قبل!.
- أخطر النقاط على الإطلاق في تقديري؛ هو أن مقالة الكاتبة تم إصدارها ضمن سياق زحف النظام نحو علماء الثورة بهدف إبعادهم عن الثورة وإبرام صفقات معهم بالترغيب والترهيب ضمن خطة ممنهجة تنفذها استخبارات دمشق بهدف إعادة الرموز

إلى ما يسمونه "حضن الوطن"، والمقصود من ذلك إعادة سيطرة النظام على البلاد والعباد، ومن ثم الإجهاز على الثورة، وتفتيت عضدها، لهذا ختمت الكاتبة مقالتها بسؤال غير بريء مفاده: (هل ستعودون؟!)، وهو ما يفرض علينا قراءة كلامها ضمن سياقه هذا.

- أخيراً: فإن الكاتبة استهدفت بسهامها المسمومة السادة العلماء باسم النقد والإصلاح ساعية من خلال ما كتبت إلى نسف جهود قرن من الزمان؛ من الجهاد والصبر والمصابرة والثبات والتضحيات والإنجازات، إلا أنها في الوقت ذاته لم تقترب من قريب أو بعيد ناحية العلمانيين الذين يعد طاغية الشام الإرهابي المجرم رمزاً من رموزهم، ونظامه الفاشي علماً من أعلامهم، فلم تتعرض لما يخرج على ألسنة عتاتهم من سفاسف الأمور خلال قرن من الزمان، كما لم تعرج على فهمهم لمعنى التعايش ضمن قالب الحرية التي يدغدغون بها عقول السذج من العامة، وهل هي حرية مطلقة بلا ضوابط تصل إلى مستنقع الإباحية ؟!، أو هل هو تعايش في العنوان والشعار واللفظ بينما هو استئصال في الواقع ؟!.

كما لم تأت على ذكر التعايش الذي يرسي قواعده كافة العلماء الذين وقفوا في وجه التكفيريين استناداً إليه!.

ا.هـ

تلخيص أبرز نقاط الكاتبة في كافة مراجعاتها
مع الإشارة إلى بعض ردود المقال عليها ...

#

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وأفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليمِ على سيدنا محمدٍ المبعوثِ رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين:

أما بعد:

فقد قرأت مقالة: "الشبكة العلمائية الدمشقية_القصة الكاملة_" للأخت ليلى _التي نشرتها على ميدان الجزيرة_كلمة كلمة تقريباً، وفي جلسة واحدة، وقد دونت العديد من الملحوظات، ومن ثم راعيت فيما كتبت ودونت الموضوعية والشفافية،أي: بغض النظر عمن كتب الكلام، أو من استهدفه هذا الكلام؛ لذا كنت أضع رأيي بكل وضوح وصراحة وقوة وتوثيق دون مهادنة لأحد.

بداية لا بدّ لنا من أن نعترف بأن مجتمعا السوري الذي هو لبنة من لبنات المجتمع الإسلامي الكبير يحتاج إلى وقفة إصلاحية جادة سواء في الملف العلمائي أو الدعوي أو الاقتصادي أو السياسي أو العسكري، أو غير ذلك من الملفات.

ولا بد لنا من أن نعترف من أنه لا يجوز لنا أن نضع رأسنا في الرمال كالنعامة فلا نرى عدونا وأخطاءنا وموقع قدمنا وخط مسارنا، وبالتالي لا

بد لنا من أن نملك خطوات جريئة نحو الإصلاح.

وإذا ما كنا صادقين في رحلة الإصلاح فلا بد من أن يتصدى للنقد البناؤون لا الهدامون، إذ لا يجوز لكل من هب و دب أن يتصدى لمسيرة الإصلاح.

والنقد يحتاج بعد التخصص إلى توثيق، وبعد التوثيق لا بد من الشفافية في السرد والتحليل، وهما يتطلبان باحثاً غيوراً و مستقلاً يكتب لله، دونما سعي نحو شهرة، أو ارتباط بتبعية، أو كتابة لصالح جهة معينة، يبتغي فيما يكتب وجه الله تعالى، وإلا كانت الكتابة هدماً و تهديماً و بلبلة وتلبيساً، مهما كان الأسلوب الذي وهبه الله عز و جل لصاحبه رائعاً.

أسئلة محرجة إلى الكاتبة تحتاج إلى إجابة

١ بناء على هذا التمهيد الذي لا بد منه أذكر النقاط التالية:

أولاً: هل كانت صاحبة المقال من النوع الذي يبني أو يهدم ؟!

يبدو لنا للوهلة الأولى أنها بذلت جهداً في جمع هذا الكم الهائل من المعلومات، وإنه لعمل تشكر عليه ويحسب لصالحها إن كانت قامت به

فعلاً، لكن ماذا لو كان جلّ اعتمادها على المستشرق "توماس بيريه" لاسيما وأنها لم تقدم لنا مصدراً تنقل عنه سواه!

فهذا الجهد حينئذ يصبح ضحلاً، وينقلب السحر على الساحر، ويحسب عليها لا لها !.

فهل كانت تعمل لحسابه؟!.

أو هل كانت تعمل لحساب جمعية تروج لأفكاره؟!.

وهل كان جهدها مجرد إعادة صياغة وإخراج لتلك السنفونية التلبيسية الاستشراقية بأسلوب شائق دمشقي بديع؛ لأجل أن ينسب عمله إلى الطامحين للظهور أمام الأضواء من الدمشقيين لعله ينال قبولاً بين الناس بعيداً عن أجواء وأسماء الاستشراقيين؛ الذين تبدي الجماهير من أسمائهم وكتابتهم حساسية مفرطة؟!.

١ الجواب برسم الكاتبة...

من زاوية أخرى فليلى تجرأت على ما لم يتجرأ عليه غيرها، فتناولت جانباً تخفى تفصيلاته على كثير من الناس سوى المتخصصين بواقع العمل الدعوي في دمشق، وهذا أيضاً يحسب لها؛لكن هل كانت منصفة فيما كتبت؟!

وهل كانت نزيهة فيما عرضت؟، أو حيادية فيما سردت؟!.

١ الجواب: برسم الكاتبة أيضاً، وبرسم القارئ الكريم، وبرسم النقاط الأخرى التي سنعرج عليها في هذا المبحث بإذن الله.

ثانياً: وللإنصاف فإن المقال يصلح لأن يشكل خريطة لمراكز قوى الحركة الإسلامية في دمشق، في انتشارها الزماني والمكاني، وانكماشها وإيجابياتها، وبعض السلبيات التي أتت عليها الكاتبة على مدى قرابة قرن من الزمان، إلا أنها بالتأكيد لم تكن موفقة في تسليط الضوء على الكثير مما رأته سلبياً، أو تعمدت حشره في زاوية السلبيات، لا سيما وأنها عمدت على تضخيمه، وبالتالي فمن البديهي أن لا نوافق على عموم ما أورده مقالها من سلبيات تم سردها بقلمها وعلى لسانها، لكن لمصلحة من جرى ذلك؟!

١ الجواب: برسمها للمرة الثالثة.

ثالثاً: اعتمدت الكاتبة على أسلوب السرد التاريخي من غير توثيق لما تسرد!.وهذا_ في تقديري _من أخطر الطعون في المقال.!.

يبدو لي أنها حاولت تجنب سهام الطعن فيما كتبت من خلال سياسة السرد التاريخي لما تناولت؛ لكن دون أن تشعر أنها وقعت في شر ما توخت الحذر منه !.

ثم لما حاولت التوثيق سداً لهذه الثغرة الخطيرة التجأت إلى مستشرق لا ندري لأي جهة استخبارية يعمل ! .

وفوق هذا وذاك لم يكن دليلها الذي اعتمدت عليه من الوسط الجماهيري ولا العلمائي ولا الدمشقي، فضلاً عن الشفافية والنزاهة التي تأكد لنا أنه لا يتمتع بها أبداً استناداً لما نقلته عنه!.

كما أنه كان سرداً تاريخياً يحكي وجهة نظر معينة لا تخفي تحاملها على المؤسسة العلمائية وإنجازاتها والخشية من تضميد جروحها، لهذا لم يكن المقال حيادياً في نقل وجهة النظر الأخرى أو حتى التعريج عليها مما أفقده المصداقية والشفافية!.

و إلى جانب السّرد فقد ابتعدت الكاتبة عن التحليل الصريح بضوابطه العلمية؛ مكتفية بالإيماء لما تسعى أن تفرزه من أفكار جانحة تحملها؛ مما أفقدها الكثير من المصداقية في السرد والنقد والبحث!.

من الأمثلة على ذلك: أنها نسبت اجتهادات العلامة السباعي في الأحوال الشخصية إلى مقايضات سياسية، فهذا عدوان صارخ لا يقبل به أي بحث علمي حرّ نزيه !.

إنَّ ذلك ليؤكد لنا بما لا يدع مجالاً للشك بأنّ الكاتبة كانت تفتقر في

كتابتها إلى أدوات البحث العلمي في شفافيته وحياديته؛ لأنها بالتأكيد لم تكن موفقة بالنسبة للكثير مما رأت أنه من السلبيات، لاسيما وأنها عملت على تضخيمها والتهويل منها لأمر ما في نفسها في الوقت الذي عمدت فيه إلى تقزيم الإيجابيات، والحد من شأنها، وفوق ذلك تعاملت معها بكثير من الانحياز والريبة والتشكيك!.

إنه بوسعنا أن نلحظ ذلك من غير مزيد عناء، وأن نتلمسه في خاتمة المقال بوضوح وبيان و جلاء!.

رابعاً: بينما كانت العديد من الأحداث المسرودة مطابقة للواقع_ و لو من غير توثيق_فإن الكثير من المسائل الأخرى تحتاج إلى توثيق، وإليك قارئي الكريم نماذج على ذلك:

١ زعمت أن رابطة العلماء السوريين قد أسسها فضيلة الشيخ محمد علي الصابوني، وهو زعم مجانب للحقيقة إذ المؤسس الفعلي لها هو فضيلة الدكتور "فاروق البطل" مع ثلة من إخوانه، ومن ثم تم ترشيح الشيخ الصابوني لرئاستها وفق نظام الاقتراع، بينما عين الدكتور البطل أميناً عاماً لها وفق ذات النظام.

١ كما سردت على مسامعنا بأن التأسيس قد تم في السويد، وهذا غير

صحيح إطلاقاً، إذ تم ذلك في عمان بعد سلسلة لقاءات ما بين جدّة وعمان!.

\ كذلك زعمت الكاتبة في مقالتها بأن فضيلة الشيخ صالح فرفور_رحمه الله تعالى_ اشتهر عنه بأنه كان يحث أبناءه على الانخراط في صفوف حزب البعث العربي منذ تأسيسه !!!.

الله.. الله... في هذا الادعاء الذي ما أنزل الله به من سلطان !.

الرجل العظيم الذي أسس معهد الفتح الإسلامي فأقبلت عشرات الجنسيات من كافة أنحاء الأرض تغترف من معينه لتنشر الخير في بلادها تنسب إليه الكاتبة بلا تثبت ولا توثيق الدعوة لأبنائه للانتساب إلى حزب علماني لا ديني، لاسيما وأنه تمت علونة هذا الحزب بشياطين النصيرية!!!.

في أي تسجيل توثقت من ذلك؟!.

أو في أي كتاب قرأت هذه الشهادة ؟!.

وبعد ذلك تدعي اشتهار هذا الأمر عنه !!،.

لقد عشت في دمشق بين مدارسها ودعاتها وعلمائها، وكان فضيلة الشيخ صالح أحد الذين وثقنا بهم وأحببناهم، لكنني لم أسمع في حياتي خلال خمسة عقود شيئاً من ذلك فضلاً عن زعم شهرة ذلك عنه، ووالله لو اشتهر

ذلك لسقط ولانفضّ عنه أهل الشام، لكنه كان ولا يزال علماً من أعلام دمشق، ورمزاً من رموزها، ومؤسساً لمدرسة عريقة من مدارسها.

وكيف يدعو فضيلته أبناءه إلى ذلك وابنه البكر من مواليد(١٩٤٥م) بينما الحزب قبل أن يصل إلى مقاليد الحكم في سورية كان قد تأسس في العام (١٩٤٧م)، ولم يكن في تلك الأيام أحد يسمع بالحزب أو له مصلحة به، ناهيك عن أن فضيلته عالم رباني ليس من أصحاب المصالح الدنيوية أو الأهواء النفسية؟!.

\ و ادعت بأن الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي هو من توسط لعودة شيوخ مساجد زيد إلى سورية في الثمانينات، وهي رواية عارية عن الصحة ، وإنما الذي توسط لهم كان رجلاً آخر من عائلة عنتر، وبضغط جماهيري على رجال النفوذ فيها من صالحي أهلها، الذين ضغطوا بدورهم على النظام وزبانيته، وبطريقتهم الخاصة.

\ كذا زعمت بأن أبا الفرج الصلاحي كان فيمن عزل في الستينات؛ بينما الصحيح هو أبو الفرج الخطيب على ما صوبه فضيلة الشيخ مجير الدين الخطيب حفظه في رده على مقال الكاتبة.

\ أوردت الكاتبة بأن الذين خرجوا من حمورية أثناء اجتياح الغوطة بعد

سنوات عجاف من الحصار كانوا من جماعة زيد وبإشرافهم، والحقيقة أن الذين خرجوا كانوا من جماهير الشعب السوري المحاصر ومن كافة الأطياف والمؤسسات بعد أن آل أمرهم إلى صورة مصغرة من قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى.. ﴾[الحج: ٢] حين أنزلت الطائرات الروسية والنصيرية الجوية بمساعدة عصابات الروافض الأرضية في هؤلاء العزل الذين لا حول لهم ولا قوة ما لم تنزله قوات الحلفاء في الجيوش الألمانية المستعدة لمنازلتها !.

١ كذلك نحن بحاجة إلى توثيق نسبة خبر تقبيل يد طاغية الشام بشار من قبل المدعو حسام الدين الفرفور الذي غدا واحداً من أبرز علماء بلاط السلطان في الشام مبتعداً عن مسيرة أبيه العطرة التي قضاها عزيزاً كريماً، ومات على ذلك بشهادة طلاب العلم والعلماء والعامة.

طلب التوثيق ليس دفاعاً عن حسام الفرفور، وإنما هو تثبت تتطلبه شفافية أي بحث، وتقدير أي قارئ فيما يعرض عليه،و كذا نقول في الكثير من الأخبار التي تم سردها .

خامساً: المقال سلط الضوء على وجود علاقة ما بين الشيوخ المنشقين من

مؤسسة ما، وتلك المؤسسة التي انشقوا عنها!.

هذه النقطة المهمة يجدر بنا أن نأخذها على محمل الجد، وأن نقف عندها كثيراً، وأن نُقلب النظر فيها من غير إساءة الظن في كل من انشق، وأن نركز على الصف الثالث والرابع من قيادات تلك المؤسسات، والهدف من عملية الجرد هذه أن نستوثق من أنّ أجهزة النظام لم تخترق ثورتنا من خلال مؤسساتنا العلمائية والدعوية على نحو ما فعلت في مؤسساتنا السياسية وفصائلنا العسكرية.

١ أما عن زيارات مفتي دمشق عن مذهب الحنفية الشيخ عبد الفتاح البزم لاستانبول التي تناولتها الكاتبة بالغمز واللمز للزائر والمزور فعلينا أولاً أن نستوثق من أنها وقعت فعلاً، فإذا ما تيقنا من ذلك فعلينا أن نسأل الأسئلة التالية؛ لكي نتمتع بالبحث العلمي المجرد:

هل كانت الزيارة بطلب رسمي من الشيخ البزم أو من الشخصيات التي زارها ؟!.

وهل كانت تحمل رسالة من النظام للشخصيات التي تمت زيارتها؟!

وهل وقوع الزيارة ينبني عليه الطعن بالفساد على الفريقين أو على العكس يترتب عليه الإشارة إلى الخيرية التي يتمتع بها الطرفان، والتي

سترمم ما تشقق، وتصلح ما اعوج، وتعيد ما ضاع، وتدخل في إطار المراجعات إن لم يكن بالنسبة لكافة شيوخ معهد الفتح الإسلامي القابعين في دمشق فعلى الأقل بالنسبة إلى شريحة منهم ؟!.

كل هذه الأسئلة وغيرها تحتاج منا إلى وثائق وشهادات ثابتة لنتمكن من الترجيح لصالح هذا السؤال أو ذاك، وهو ما لم تفعله الكاتبة، ولم تكلّف نفسها عناء البحث العلمي أو استخدام أدواته ومقدماته الصحيحة التي تفضي إلى نتائج علمية صحيحة!.

سادساً: المقال أشار إلى أن المؤسسات الإسلامية في دمشق تغلب عليها صفة تمجيد المؤسسة ورموزها على حساب مصلحة المشروع الإسلامي الكبير الذي نعيش له جميعاً، وهذا فيه الكثير من التعميم ،و الصحيح أن نقول : إن بعض من يعمل في المجال الدعوي لا سيما الوعظي تغلب في صفوف أتباعه تلك الصفة، كما أن لغة التعميم في هذا يجب علينا أن نبعدها عن صفوف الجماعة الواحدة ذاتها؛ لأن الصفوف الفاعلة أو الناشطة يضعف فيها أو يتراجع عندها ذلك، بينما يقوى عند عامة جماهيرها، في تمييز جليّ واضح بين عموم النخبة وعامة الجماهير.

وفي نفس الوقت فإن هذه السلبية تختلف فيما بين جماعة وأخرى؛ فنجد

مثلاً أن جماعة كفتارو التي تقوم على حكواتية المواعظ التي تدغدغ بها عواطف الجماهير، وعلى محورية الفرد في دعوى صلاحه وتقواه ونفوذه السياسي تختلف عن الجماعات التي تقوم على عمل مؤسساتي، ورصيد علمي، وإرث تاريخي، وخطاب فكري وإيماني ينادي العقل والقلب معاً ضمن مادة تقدر المتلقي، وتختلف معها جماهير المتلقين عن نظيرتها في جماعة كفتارو؛ لهذا وجدنا أن درجة التقديس لدى هذه الجماعة تبلغ الدرجة العظمى على مقياس التعظيم المطلق بالنسبة لمعظم المخاطبين، بينما لا تعدو أن تكون أشبه بالاهتزاز والتمايل بالنسبة لجماعة أخرى، ولبعض المخاطبين دون الجميع، والعلة تعود إلى ماهية التأسيس؛ لأن جماعة كفتارو اعتمدت في تأسيسها واستمرارها على فرد واحد فيها في خطابه ومحوريته وتأثيره وقد ناسبتها شرائح العامة التي تحب الأسلوب القصصي الممتزج بالخطاب الديني ويسهل معها الانقياد كالأغنام دونما عناء أو تمحيص أو تفكير بعيداً عن العمل المؤسساتي والجماعي والخطاب الفكري والعلمي الإيماني الذي غلب على خطاب الكثير من المؤسسات الإسلامية في دمشق،والذي يمتلك فيه الفرد أدوات التمييز بين الحق والباطل، وتتراجع فيه عوامل الانقياد التام!.

إن ظاهرة التقديس تختلف تماماً عن أدبيات التبجيل والاحترام الذي يتعامل فيه التلميذ مع شيخه، لكنه في النتيجة قد يخالفه عندما يملك آليات البحث العلمي وأدواته، ويبدو لي أن الكاتبة تعمدت أن تخلط الأوراق بين مؤسسة قامت في أساس تأصيلها ونشأتها على جهد استخباراتي وأخرى استوت على سوقها وفق مرتكزات العلم الصحيح والمنهج السليم!.

كما أن الكاتبة تعمدت أن تخلط الأوراق ضمن نشاط الجماعة الواحدة بين صفوف المثقفين وشرائح العوام بحيث كان لخصوصية الخطاب ووعي المخاطبين أثر في تبخر التقديس إلى درجة تراجعه عند بعض الأتباع إلى حد انعدام وجوده، بينما ظل متمكناً من آخرين حسب الوعي والإخلاص وتأثير البيئة، وبحيث لم يكن مبعث التقديس نوعية الخطاب وحده، مع التنبه إلى أن الولاء المطلق هو للشريعة الغراء وليس للأشخاص مهما بلغ موقعهم في خدمة شريعة الله عز وجل، وأن الوفاء لمبلغي الشريعة ومعلمي الناس الخير عن التقديس بمنأى، وأن التبجيل لهؤلاء هو من باب تعظيم الشريعة التي يحملون لواءها والتي ختم الله بها الرسالات، وجعل حملتها العاملين ورثة للأنبياء في الاتباع.

\ إذن سلبية التعميم لم تفارق كتابتها في مقالها أينما ذهبت، وحيثما

حلّت، وهي ظاهرة مستشرية عند من لا تتمايز لديه الألوان، أما صاحب النظرة الموضوعية، ومن ملك وتمكّن من أدوات البحث العلمي فإنه لا يصدر حكماً عاماً بناء على معطيات أولية لديه أبداً.

لقد شاهدنا الأخت ليلى تعمم في أحكامها مع يقينها بأن المؤسسة الدينية في سورية ليست واحدة في مادة خطابها، وأسلوب الخطاب وجمهور المخاطبين على نحو ما ستتناوله في النقطة التالية بإذنه تعالى .

سابعاً : أشارت المقالة إلى أن ما سمتها "الشبكة العلمائية الدمشقية" ليست نسيجاً واحداً !.

فإن كانت تقصد بذلك خصوصية المدرسة الواحدة داخل تلك المؤسسة الكبرى في أسلوب خطابها، وأولويات مناهجها، وأطر تنظيمها فهذا صحيح، لكنه من هذه الزاوية هو منقبة لا مثلبة، وميزة لا عيب.

أما إن كانت تقصد في انعدام النسيج الواحد وقوع التنافس على الدنيا من قبل بعضهم، فهذا مما لا يجوز الإطلاق فيه البتة، فكم وجدنا في هؤلاء شيباً وشباناً من صادقين ومخلصين يركلون الدنيا بأقدامهم وهي تأتيهم صاغرة، وهم يتنافسون على مرضاة الله فيها، لكن في ذات الوقت لا يمكن للكاتبة أن تعدم وسيلة لأمثلة تناقض ما أقول، فهذا صحيح، ولا إخال

أحداً يخالفها في ذلك، لكن هذا مما لا يجوز التعميم فيه أيضاً، وإلا فلم يحاسب الله عز وجل العباد على أعمالهم ؟.

و لم ينصب الباري سبحانه الموازين لينصف ويجزي الجزاء الأوفى من بذل وضحى وجاهد بعمره في سبيل الله، ويجازي في مقابل ذلك من لم يخلص القصد أو باع من أجل دنياه الفانية دينه الغالي الذي به ينجو يوم يبعثون، ﴿ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ؛ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٨]. ولا أدل على ذلك من أولئكم الذين بايعوا شيطان الشام بشار فشاركوه في إراقة الدماء، وقاسموه وزر بيع البلاد، وكانوا معه في إثم تشريد العباد، وفعلوا لأجل مرضاته على حساب مرضاة ربهم الأعلى أكثر مما فعله حاخامات اليهود مع عصابة تل أبيب !.

فإلى الله المشتكى، وإليه المبتدأ و المنتهى، لكن هل يَصْدُق هذا على من وقف في وجهه خلال ستين سنة معرضاً حياته لخطر الاعتقال أو التعذيب أو التصفية الجسدية أو آلام الغربة في سبيل أن يرضي ربه عليه ؟.

بالتأكيد لا، والتعميم في هذا لا يصلح أبداً، وإلا كان قائل هذا الكلام مثل من ينكر ضوء الشمس من رمد !.

كذلك يمكنني أن أقرأ خريطة الحركة الدعوية للمؤسسة الدينية في فترة

ما قبل قدوم ديكتاتور الشام الأب وظهور طاغية الشام الابن، حيث كانت دمشق في تلك الفترة ما بين فسطاطين:

فسطاط علماء دمشق ونشاطهم سواء الذين انخرطوا في مؤسسات أو لم ينخرطوا؛ لأن الكثير من العلماء كان يعمل منفرداً، وبعضهم كان أمة وحده، وهؤلاء كانوا يتعرضون للضغوط والملاحقات والمتابعة من كافة أجهزة النظام دون استثناء.

وفسطاط كفتارو الذي وقف مع الشيوعي رياض المالكي مرشح حزب البعث قبل وصول الأخير إلى السلطة فكانت مكافأته التحالف الحقيقي فيما بينه وبين السلطة، وتأسيس جماعة قامت على عين النظام وبرعاية أجهزته في مقابل الولاء التام للنظام ولو عرضت نفسها لغضب ونقمة الديان !.

لقد كان فسطاط العلمائية الدمشقية متماسكاً في وجه رعاية السلطة لتلك الجماعة، لكن فسطاطهم الكريم كان يفرق بين قيادات الفسطاط الآخر ذات الارتباط العضوي بالنظام الفاشي الفاسد وبين عامة الناس الذين كانوا يحضرون دروسهم، وكانوا في حالة غرر كامل بهم.

كذلك كان فسطاط العلمائية الدمشقية يفرق بين الوجوه الاستخباراتية

التي كانت تقود جماعة كفتارو والتي كان غالبها من قيادات الصف الأول والثاني؛ وبين معظم الدعاة من الصفوف الأخرى التالية الذين اختارتهم الأقدار للالتحاق بهذه المدرسة منذ وقت مبكر من نعومة أظفارهم، ومن ثم ظهرت في سيرتهم علامات الوعي والإخلاص والخير بعيداً عن منزلقات الكبار ضمن ذات الجماعة، خلافاً لما كان عليه أبناء الصف الأول والثاني من الفوتوكوبية والفساد والتكرار!.

أما بعد وفاة كفتارو فقد انتقل المشهد الرسمي إلى معهد الفتح الإسلامي الذي صار يفعل لاحقاً ما كان ينكره على جماعة كفتارو سابقاً !

والحديث مرة أخرى عن الصف الأول والثاني غالباً ومن كان يدور في فلكهما، وليس عن كافة شيوخ معهد الفتح الإسلامي.

◄ أما بعد الثورة فقد عاد التخندق من جديد لكن على أساس جديد ألا وهو الثورة نفسها، فمن وقف مع الثورة صار في خندق واحد من كافة الجماعات بما فيها معهد الفتح الإسلامي وجماعة كفتارو بغض النظر عن كونه في الداخل أو في المهجر.

◄ أما من وقف في وجه الثورة فقد تخندق ضد علماء الثورة وأكثر هؤلاء في الداخل.

أما عن تلك الفترة من تاريخ العمل الإسلامي في سورية والذي تناولته الكاتبة بسوداوية وتشويه ومبالغة وتعميم فلا ننكر أن فيها شقوقاً وضعفاً لكن بالتأكيد ليس بالصورة الظلامية التي قدمتها !.

لقد كان ثمة تعاون بين أبناء هذه المؤسسات بشكل قوي وحثيث، فقد كان أحدنا يتتلمذ في حي الميدان، ثم يتابع طلبه للعلم الشرعي في أحد مساجد زيد، أو الفتح الإسلامي، أو لدى أيّ من شيوخ وأساتذة وعلماء دمشق لا تثريب عليه، كما كانت المناسبات الرسمية والدعوية والأسرية تتم بين أبناء مؤسسات دمشق في شتى المناسبات.

ومن الأمثلة على وجود الانسجام والتعاون بين عموم المؤسسات الدعوية في دمشق أن فضيلة الشيخ سارية الرفاعي لما أقدم على خطوته الجريئة بتأسيس "قناة الدعوة الفضائية" لم يرض أن يغرد وحده وإنما دعا كافة المؤسسات ليكون لها تمثيل ومشاركة في ذلك النشاط الهام، وهو ما جرى بالفعل.

أما ما أستحضره من تلك الفترة من ذاكرتي الشخصية مما حدثني به شيوخ وعلماء الشام فأودّ أن أذكر فيه النقاط المهمة التالية التي تردُّ كافة المقدمات التي استندت إليها الكاتبة:

١_مؤسس جامع زيد فضيلة الشيخ عبد الكريم الرفاعي _رحمه الله_ كان يقدّر جماعة السباعي ويتعاون معها في رفعة الإسلام وعز المسلمين ومواجهة التطورات والتحديات، لا بل كان يقدم لها المدد والعون لتمثيل المؤسسات الإسلامية، لا سيما وأنها كانت متخصصة في العمل السياسي، ولها خبرة وباع طويل فيها، لذلك بايع فضيلته مع سائر علماء دمشق العلامة الدكتور مصطفى السباعي لمجلس الأمة في مواجهة حزب البعث الشيوعي رياض المالكي، وهو الإجماع الذي لم يخرقه سوى كفتارو على نحو ما سيأتي مفصلاً بإذن الله تعالى.

D هذه النقطة هي التي دعت بعض الناس ليزعم بأن فضيلته كان ممثلاً عن جماعة السباعي في شعبة حي قبر عاتكة الدمشقي، مما دعاه _رحمه الله_ ليعقد اجتماعاً في جامع التيروزية _جامع زيد كان قيد الإنشاء_، ويشرح أنه يحمل للسباعي وجماعته كل تقدير واحترام، ويوظف في سبيل خدمة الإسلام عن طريق تقديم الدعم لهم كل ما بوسعه، شأنه في ذلك شأن كافة علماء الشام ، لكنه لم يكن يوماً ضمن الجسم التنظيمي للجماعة.

لقد كانت جماعة زيد وجماعة الميدان وجماعة معهد الفتح الإسلامي إلى جانب سائر العلماء –الذين كانوا يعملون فرادى بلا مؤسسة أو جماعة– قوة

فاعلة على الأرض من نحو الشيخ أبي الخير الميداني وغيره..،لقد كان هؤلاء جميعاً في تقارب وتماسك وتقدير متبادل فيما بينهم.

٢_ الشيخ محمد الزعبي أبو هشام الإمام والخطيب في جامع الدقاق _ثاني مساجد دمشق بعد الأموي _كان قبل استيلاء البعث على السلطة الممثل لجماعة السباعي في شعبة حي الميدان الدمشقي التابعة للجماعة.

٣_ شيخ الميدان الثائر الشيخ حسن حبنكة الميداني في لقائه مع ديكتاتور الشام حافظ الأسد حذره من مغبة المضي في اعتقال الشيخ سعيد حوا، وظل على موقفه حتى شفع له، وفي المقابل لما خرج فضيلته من معتقله في دمشق توجه أول ما توجه إلى منزل الشيخ حسن حبنكة الميداني _رحمه الله _في الميدان، وليس إلى مدينته حماه، دون أن يعلم أن الشيخ حسن هو من توسط لإخراجه من المعتقل.

٤_ ولما أريقت دماء أبناء مدينة حماه الأطهار في صدر الثورة السورية تعاضد أصحاب الفضيلة العلماء الشيخ كريم راجح، والشيخ أسامة الرفاعي، والشيخ راتب النابلسي، والشيخ معاذ الخطيب، والشيخ أبو سليمان طيفور وآخرون في كتابة بيان تحت عنوان: "بيان علماء دمشق"، حملوا فيه النظام مسئولية ما يُراق من دماء في حماه، معرضين فيه أرواحهم

لخطر الاعتقال والإزهاق، ومؤسساتهم لخطر الإهلاك، فهل بعد هذا من تضافر وانسجام وتضحية ؟.

١ أين المقاولة التي تناولتها الكاتبة بكل إسفاف ؟!!

١ بل أين الحفاظ على المصالح الذي زعمته، لا سيما وأن العديد منهم غادر بعد ذلك إلى الغوطة الشرقية ليعيش سنوات من الحصار وشظف العيش لا يعلم شدتها إلا الله من نحو الشيخ أبي سليمان طيفور وإخوانه، بينما غادر آخرون إلى بلاد شتى في أرض هجرتهم لا يعرف فيها مصيرهم إلا الله عز و جل، لكن الله سبحانه تداركهم بفضله، وأيدهم بتأييده، وأسدل عليهم في غربتهم رِواق عنايته، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً، وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النِّسَاء: ١٠٠]

٥_ كان لمساجد زيد شرف تكريم كبار شيوخ القراء بغض النظر عن المؤسسة التي ينتمي إليها الشيخ القارئ في عاصمة الأمويين، حيث كان عرساً مهيباً وتاريخياً، بل وعرساً تاريخياً لدمشق كل دمشق، حضره علماؤها وقراؤها وطلاب علمها، كما حضرته جماهيرها على امتداد رقعتها، فهل في

هذا تنافر أو انسجام؟!.

وهل في هذا تقديس لشيخ المؤسسة أو إجلال للقرآن وكافة علماء الشام، وسائر علماء الإسلام؟.

ثامناً: التعميم أيضاً في إطلاق الأحكام كان السّمة السلبية البارزة لكاتبة المقال من بدايته حتى منتهاه بما في ذلك التعميم بين علماء السلطان من نحو كفتارو الذي صافح الشيوعي البعثي رياض المالكي قبل وصول حزب البعث إلى السلطة، وجَعْلُ الجالس على كرسي الإفتاء في الشام في خندق واحد مع سائر العلماء الذين سجنوا أو اعتقلوا أو لوحقوا أو طوردوا أو ضيّق عليهم أو.....إلخ!.

١ فهل بعد هذا التلبيس من تدليس ؟!!.

تاسعاً : هناك توصيف غير دقيق لا يراعي الظروف ولا الضغوط و لا المراحل ولا المؤسسات ولا الأشخاص، وإنما يتحدث عن شراكة بين العالم والحاكم جرت باختيار العالم، وبسعي حثيث منه، وفي هذا افتئات على العلم والعلماء ما بعده افتئات !.

وإنها لنقطة تحتاج من الباحثين التعمق فيها كثيراً، فالإساءة من هذا الجانب كبيرة، والبهتان فيها واضح !!.

تناست الكاتبة أنَّ فضيلة العلامة السباعي قاتل في فلسطين ليمنع من قيام دولة العهر إسرائيل؛ غضبة لله، وانتصاراً للقدس والأقصى وفلسطين، وأبلى في تلك المعركة بلاءً حسناً، واستشهد الكثير من إخوانه.. فأين هي الشراكة بين العالم والحاكم التي تدعيها؟!.

تناست أنه منع من التدريس في كلية الشريعة التي أسسها، وأنه حورب من خلال (ثنائية كفتارو_والمالكي) حتى أصابه الشلل الذي انتهى به إلى الموت، فأين هذا من صدق ما تزعمه وتتشدق به بلا تثبت ولا بينة ضمن تعميم يزيد في تيه المقال الذي سارت في ردهاته بلا هدى، فكان ما كان من السقوط والهوى والردى!!.

لو أنها تحدثت عن شراكة بين كفتارو والحاكم، ومن سار على شاكلته لما كان في كلامها زيف، لكن أما وقد عممت لتضرب الجميع وتُسيء لكافة العلماء والمؤسسات فقد أساءت لنفسها من حيث ركضت لاهثة للإساءة لأمتها ودينها ورجال العلم والفضل في بلدها، مع أن القدْحَ في العالم لا يتناول شخصه فقط؛ بل يتعدى ذلك للعلم الذي يَعْلَمه ويُعلمه للناس، وإذا انتقص من أمر العالم وأهين فبمن يثق الناس؟!.

وإذا زالت ثقتهم بالعالم فعمّن يتلقون الدين؟! لا جرم أنهم سيتخذون

رؤوساً جُهَّالًا،فيفتون لهم بغير علم، فيَضِلُّون ويُضِلُّون..

يقول الفقيه المحدث الآجري – رحمه الله ٣٦٠ هـ – مبيناً فضل العلماء :

"إن الله – عز وجل –، وتقدَّست أسماؤه، اختصَّ من خلقه من أحب، فهداهم للإيمان، ثم اختصَّ من سائر المؤمنين من أحب، فتفضَّل عليهم، فعلَّمهم الكتاب والحكمة وفقههم في الدين، وعلمهم التأويل وفضَّلهم على سائر المؤمنين، وذلك في كل زمان وأوان، رَفعهم بالعلمِ وزَينهم بالحلمِ، بِهم يعرف الحلال من الحرام، والحق من الباطل، والضار من النافع، والحسن من القبيح".

إن الإساءة للعلماء ليست ذنباً في حق المسيء فحسب، بل يتعدى ضرره إلى المجتمع بأسره...؛لأنَّ العلماء هم خلفاء الرسل، فهم الذين يصلحون ما أفسد الناس ويجتهدون في توجيه الناس إلى الخير..

وأقول للأخت ليلى لمصلحة مَن هذا التعميم؟! أليس التعميم يقطع كل طرق وجسور التواصل، بل ويعمي البصيرة، ويُوقع صاحبه في الضلال، ولقد علمنا قرآننا ترك التعميم حتى مع أقوام أعلنوا العداء لرسالة السماء فقال تعالى عن اليهود: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٧٥] فلم يقل عن اليهود

أنهم: كلهم حرفوا كتاب الله؛ بل قال: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ...﴾

ولا شك أن صيغة التعميم تُريح الأحمق؛ فهو ليس مضطراً لأن يتعب نفسه للاتصال بالطرف المقصود بالتعميم، ولا أن يستمع لما يقول، أو يطلع على ما يؤمن به، مع أن تعميمه قد يكون مخالفاً للحقيقة !.

كل هذا يثبت لنا أن ما سيق من تعميمات وإطلاقات في مقالة الكاتبة كان أحكاماً مسبقة صنعتها قراءة مغلوطة للأفكار والحوادث التاريخية مع وجود نفس محتقنة بالكراهية المطلقة.

\ إذن من الذي غرر بالأخت ليلى ودفع بها إلى هذه المتاهة؟!.

الجواب: برسم الكاتبة أيضا؟.

نسيت الشيخ حسن حبنكة الميداني الثائر، وصدعه بالحق، والقطيعة التي كانت بينه وبين الحاكم والتي كان من أبرز مظاهرها انتفاضته على منبر جامع "منجك" في حي الميدان الدمشقي في وجه جريدة الشعب التي كانت تتبع للمجرم حافظ الأسد الذي كان جالساً على كرسي وزارة الدفاع السورية يومئذ، حيث كتب أحد مرتزقته الإرهابي الحاقد المدعو "إبراهيم خلاص" مقالاً في تلك الجريدة اعتدى فيه على الذات الإلهية والأنبياء والرسالات والقيم وزعم أنها ليست أكثر من دمى محنطة في متاحف

التاريخ، داعياً إلى جيل لا يعرف الصِّلة بالله أبداً !.

فلو كان ثمّة شراكة فهل كان ليثور وينتفض ويدخل المعتقل حتى انتشرت عصابات الإرهاب البعثية على جانبي طريق (الميدان _جزماتية) حيث يقع الجامع الذي خطب فيه الشيخ على نقطة من نقاطه؟!.

نسيت أن النظام الحاكم آنذاك قضى بحكم الإعدام حتى الموت على فضيلة الشيخ حسن _رحمه الله_ وأن كفتارو صادق بشخصه وصفته على الحكم الجائر الذي لم ينفذ خشية من غضبة شعبية بعد خيانة بائع الجولان، واجتياح العدو الصهيوني للجولان والضفة الغربية والقدس الشريف وسيناء، وذلك في(٥/حزيران/يونيو/من العام ١٩٦٥م)، لذا تم الإفراج عنه، لكنه منع من الخطابة إلى أن لقي الله في العام ١٩٧٧م .

لقد تجاهلت الكاتبة التضييق على علماء الميدان خاصة وعلماء الشام عامة عقب اعتقال الشيخ حسن حبنكة الميداني، كما تجاهلت المظاهرات التي شارك فيها الشيخ سارية الرفاعي في شبابه في تلك السنة، والتي انتهت باعتقاله واعتقال الكثير من أحبابه وإخوانه، حتى إن الذي حقق معه كان الإرهابي صلاح الجديد، فأين هذا كله من تلك الشراكة المزعومة؟!!.

تناست التشرد الذي أصاب العلماء في الثورتين:

الأولى: في الثمانينات والتي خرج فيها مهاجراً في سبيل الله تعالى فضيلة الشيخ أسامة، والشيخ سارية، والشيخ محمد عوض، والشيخ جمال السيروان، والشيخ أبور النور قره علي، وآلاف من أبناء الحركة الإسلامية، ومن لم يتعرض منهم لآلام الهجرة فقد كان مصيرهم الاعتقال ليقضوا زهرة شبابهم في سجون الاحتلال الأسدي، أما من نجى من هذا الأتون المدمر فقد كان مصيره التضييق في حرية الرأي والنشاط الدعوي والاجتماعي والسياسي، فهل هذا التاريخ الجهادي المشرق يدخل في الشراكة مع حكام الجور أو في التصدي لمكرهم و مكائدهم ؟!!.

وقبل ذلك كانت هجرة إخوة السباعي الأولى إلى أنحاء الأرض ومنهم حكيم الشام فضيلة الشيخ عصام العطار.

الثانية: تناست ما جرى أثناء ثورة الشام الأخيرة التي كانت أوسع انتشاراً، وأكثر إيلاماً، إلى جانب من قضى في سجون طاغية الشام، أو حوصر في الغوطة أو استشهد في ساحات الوغى في مواجهة مكشوفة وغير متكافئة مع عصابات الأسد الإرهابية وسائر من ساندها من عصابات رافضية وصليبية !.

١ إنه بالرغم من عشرات المشاهد الإيجابية للمؤسسة العلمائية الدمشقية

فإن الكاتبة مازالت تتحدث بتعميم خبيث عن شراكة بين الحاكم والعالم!! لكن لمصلحة من هذا التلبيس ؟! .لا أدري..!.

وأيضا ثمة تعميم لديها بين كافة العلماء والشيوخ والدعاة مع اختلاف المدارس والمشارب والمراحل، وهذا لا يجوز، وهو مبيت ومقصود، لا سيما وأن التعميم من العمى، وهو لغة غير صحية، بل هو لغة الحمقى كما أسلفنا.

عاشراً: عرَّضت بالمجلس الإسلامي السوري، زاعمة أن رابطة علماء الشام تهيمن على أكثر مقاعد المجلس، وأنها تصدرت المشهد على حساب رابطة العلماء السوريين !.

وفي هذا جهد غير مشكور من الكاتبة لتشويه صورة المجلس الإسلامي الذي يمثلنا، والذي هو أعلى مرجعية إسلامية في سورية، والذي نتمسك به جميعاً، والذي لا أدري لمرضاة من تبحث عن سهام لرميه بها، بما يدل على مقاصد خبيثة من وراء صياغة المقال أو تبنيه منها، لا سيما وأنها تجهل الطبيعة التي قام عليها تأسيس المجلس، وهو مقعدان لكل مؤسسة دينية أو رابطة بغض النظر عن عدد العلماء المنتسبين إليها، أو حجم الجماهير التي تتبع لها، بما في ذلك رابطة علماء الشام نفسها، لكن من جهل الكاتبة بهذا

الجانب أنّ مجلس أمناء المجلس الإسلامي لا يمثل أعضاؤه الروابط التي ينتمون إليها بقدر ما يمثلون المدينة التي يتحدثون باسمها، فمثلاً: الدكتور عبد الكريم بكار يمثل مدينته حمص؛ حتى وإن كان من رابطة علماء الشام الدمشقية!.

كما أن مما غفلت عنه الكاتبة تلك العلاقة الأخوية التي تميز كافة مجلس الأمناء!.

أما ما جهلته عن المجلس الإسلامي فهو كثير وفي مقدمة ذلك أن العضو قد يكون منتمياً لأكثر من رابطة من الروابط التي تشكل بمجموعها مكونات المجلس، فقد يكون أحدنا عضواً في رابطة علماء الشام وفي رابطة العلماء السوريين وفي هيئة الشام الإسلامية وفي غيرها من الروابط ثم يكون عضواً عن إحدى تلك المؤسسات المنضوية تحت راية المجلس الإسلامي وليس عن جميعها، أو يكون عضواً في كل هذه المؤسسات ثم لا يمثل أحداً منها، وإنما يكون مستقلاً قد التحق بالمجلس بطلب انتساب خاص بشخصه، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى.

إن مسيرة المجلس تمضي بتعاضد رابطة علماء الشام مع رابطة العلماء السوريين إلى جانب سائر المؤسسات والمنظمات والروابط والشخصيات

المستقلة المكونة للمجلس، وليس من قبيل تغول أحد على حساب أحد؛ لأن الجميع يمضي في مسيرة المجلس وراء جمع الكلمة الذي هو غاية الغايات بعد مرضاة الله تعالى للمنتسبين الحقيقيين للمجلس، وليت أختنا الكاتبة تصنع مثلهم في هذا وتسير على سننهم؟.

D المشكلة أن الكاتبة تنطلق أحياناً من تصورات خاطئة زُرعت في ذهنها بعيداً عما يجري على أرض الواقع، وصدق الشاعر إذ يقول:

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبةٌ ... وإن كنتَ تدري فالمصيبةُ أعظمُ

الحادي عشر: طريقة عرض الخريطة العلمائية تحمل أسلوباً لا يليق بالعلماء، فضلاً عن أنه لا يليق بالنخبة منهم، وذلك من نحو الحديث عن الشيخ سارية بأنه شيخ التجار !

فهذا لا يليق فلولا أن التجار وجدوا لديه ولدى غيره من أهل العلم والفضل مصداقية لما تحلقوا حوله، فهم تجار وليسوا أطفالاً، كما أنهم ليسوا قليلي تجربة في الحياة...، لذلك أقول في الرد على هذا السرد المنقول عن المستشرق توماس بيريه:

◄ إن الشيخ سارية ومن كان على شاكلته من أهل العلم والفضل كانوا شيوخاً للجميع، ولم يكونوا شيوخ شريحة منهم فقط.. ►

الثاني عشر: أما تحسين الظن في التعامل مع عامة الناس فضلاً عن النخبة من علماء دمشق فلم نجد للكاتبة إليه من سبيل، بل وجدنا سوء الظن هو المقدم عندها، وفي هذا ابتعاد عن الشفافية والموضوعية في البحث والضوابط الشرعية في الكتابة.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله كلامًا نفيسًا في هذا المقام: "اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول، فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوئ الغير، فليس لك أن تحدث نفسك وتسيء الظن بأخيك.... " إلى أن قال: " وسبب تحريم سوء الظن أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب، فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءًا إلا إذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل، فعند ذلك لا يمكنك ألا تعتقد ما علمته وشاهدته، وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه بإذنك ثم وقع في قلبك فإنما الشيطان يلقيه إليك، فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق الفساق[1]" انتهى كلامه رحمه الله.

ويقول الإمام الشافعي -رحمه الله-: "من أحب أن يختم له بخير فليحسن الظن بالناس[2] ".

---

[1] إحياء علوم الدين ٣/ ١٥٠.

[2] بستان العارفين ص: (٣٣) للإمام النووي.

الثالث عشر: هناك تعريض بمن عمل في الإغاثة من تلك المؤسسات العلمائية في تجاهل واضح ومقصود لحقيقة أن تلك المؤسسات تضم شرائح من كافة أفراد المجتمع، إذ فيها الكوادر الإغاثية والكوادر العلمية والكوادر الدعوية، وفيها عصب العمل الإغاثي وهم التجار، كما أن الكاتبة تجاهلت التاريخ الإغاثي لتلك المؤسسات الذي أورثها خبرة مدتها عشرات السنين، بالرغم من أنها في معرض مقالتها أتت على ذكر جمعية "حفظ النعمة" العريقة في تجربتها، وفي هذا تناقض ما بعده تناقض، لا سيما وأن كافة المؤسسات لها تجربة قوية ومعمرة في المجال الإغاثي من خلال الجمعيات الخيرية التي تتبع لها.

الرابع عشر: وردت في مقالة الأخت مصطلحات "كنسية" أو غربية استشراقية، لكنها بالتأكيد ليست دمشقية، ولا تمت بصلة إلى البيئة السورية أو الشامية أو وسط الحركة الإسلامية من نحو "العراب"وهي كنسية بامتياز أو "شخصية بابوية" أو "كاهن القصر الرئاسي" !.

ومن نحو "مقاول" وهي تصلح لأسواق البيع والشراء بعيداً عن مراكز ومنابر الدعوة الإسلامية بما يشي بالكم الهائل من السباب والشتائم والبهتان الذي حشي به مقالها مما لا يخدم سوى الملحدين اللادينيين الذين

يتصيدون أمثال هذه المقالات لتنفيث أحقادهم، والوصول إلى استنتاجات خاطئة بناءً على مقدمات فاسدة على نحو ما فعلت ليلى بالضبط!.

ومن نحو "شبكة "التي كثيراً ما تستخدم في بلادنا العربية وفي معظم البلدان لشبكات عصابات الدعارة والمخدرات وغسيل الأموال وغير ذلك من الأفعال المشبوهة مما يجعلني أجزم بأن "ليلى" تعمل ضمن شبكة عالمية لمحاربة الإسلام، وإسقاط الرموز والمؤسسات في خصوص دمشق وعموم سورية الشام ضمن الحملة العالمية الصهيوصليبية التي أيدت طاغية الشام ووقفت معه في وجه الثورة السورية وعلمائها ورموزها ورجالات الفكر فيها، وهي تجتهد في ذلك، وتخدم أعداء الأمة وتظن أنها بأسلوبها الإنشائي تستطيع أن تستبدل الحقائق، أو تهدم الحصون،أو تنسف المؤسسات، سواء علمت ذلك أو لم تعلم، لكن هيهات ثم هيهات..

إنَّ أبرز شيء لاحظته في مقالتها أنها تمكنت من أن تكون "عرابة" لدراسة "توماس" الحاقدة، و"مقاولة" بين يدي مقالته الصليبية الفاسدة، وأن تقيم من نفسها مقاولاً لتسويق نسخته بالبلاغة الدمشقية الرائعة، ضمن شبكة عالمية ليست فيها وحدها، مما ناسب أن تستخدم الكاتبة هذه المصطلحات الطارئة غير المهذبة التي لا تعرفها بيئتنا، ولم تتناولها كتابات

أو كلمات علمائنا، ولهذا ناسب أن أقرن اسمها باسم بيريه فأقول: (ليلى_بيريه) نسبة إلى أستاذها المستشرق "توماس بيريه" صاحب النسخة الأصلية، والحق في نشر كل ما جاء من تناقضات في مقالتها، على أن مصطلح تناقض كان أولى المصطلحات التي استخدمتها في حق بيئتها الدمشقية تمهيداً لكل ما تعمّدت إبرازه من مطاعن، فما أقبح عقوقها لمدينتها ورجالات العلم والدعوة إلى الله تعالى فيها !.

الخامس عشر: تناولت الكاتبة فضيلة الشيخ أسامة الرفاعي _حفظه الله ورعاه وسدد بالتوفيق خطاه_ رئيس المجلس الإسلامي السوري، وكبير علماء مساجد زيد، وأحد مؤسسي رابطة علماء الشام، ومن أبرز علماء الثورة السورية المباركة.

وإذا كنت في هذا المقال لا أنتصر لشخصية بعينها أو مؤسسة لذاتها في دمشق أو غيرها، وإنما أنتصر لله والرسول والعلم والحق والحقيقة والتاريخ إلا أن رمزية فضيلته في العمل الدعوي وتاريخه العريق، واستهدافه بسهام التجريح الحاقدة في أكثر من موضع من المقالة ابتداء من صورة الغلاف يدفعني إلى أن أتناول هذه الشخصية بمزيد من الدراسة والاهتمام، مع العلم بأني لست من تلاميذه، ولم أجلس يوماً بين يديه لا في

درس عام ولا خاص، ولم أتلق العلم عليه، ولا أتبع لمؤسسته من الناحية العضوية، لكنه نسب العلم، وواجب التصدي لهذه السحابة السوداء غير البريئة وغير الموضوعية التي تسعى لأن تمطر فتنة بين جماهيرنا وعلمائها داخل دمشق وخارجها، لكنها ستزول_ بإذن الله _وستتجاوزها بتوفيق الله، وستبقى سحابة صيف عابرة لا غير بعون الله تعالى.

\ نبدأ من صورة الغلاف التي لم توفق فيها الكاتبة بتاتاً إلا أنها عكست من خلالها الخلط الذي حشي به مقالها من بدايته إلى منتهاه:

فعن يمين الصورة "حسام الدين الفرفور"، ثم إلى جانبه "خامنئي"،ثم إلى جانبه "محمد عبد الستار السيد"،ثم عن يسار الصورة فضيلة الشيخ "أسامة الرفاعي".

أما حسام الدين الفرفور: فقد سقط منذ أن ارتضى أن يكون تابعاً من تابعي علماء بلاط السلطان في الشام، الذين ارتموا في أحضان سيدهم طاغية الشام بشار، فصار مآله إلى خانة كفتارو بعيداً عن العلماء العاملين، ولو أنه يحمل أكثر من دكتوراه، فهو أولاً وآخراً مرتبط وجوده بوجود النظام؛ يعيش بحياته ويدفن بسقوطه.

وأما محمد عبد الستار السيد: فهو من أبناء مدينة طرطوس، وحسب علمي فإن المقالة هي عن علماء دمشق ومؤسساتها، فما هذا الإقحام في المشهد الذي يتناقض مع العنوان ؟!.

وأما الفارسي الرافضي الصفوي خامنئي: فإنكارنا عليه أشد من إنكارنا على السيد وزير النظام؛ لأنه مستورد من خارج البلاد لأداء وظيفة تشييعية بهدف تغيير ديموغرافي تتعرض له دمشق بسطوة السلاح والمال، فمتى كان الخامنئي هذا واحداً من العلماء؟!.

ومتى كان دمشقياً ؟!. ومتى كان من منظومة علماء دمشق؟!.

وأما إقحام فضيلة الشيخ أسامة في هذه الصورة فلي عليه رد واحد وهو قوله تعالى في إنكاره على اليهود الملبسين بين الحق والباطل: ﴿وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢]

١ إن لدعاة الفتنة والضلالة طريقتين في إغواء الناس:

إحداهما: طريقة خلط الحق بالباطل حتى لا يتميز أحدهما عن الآخر وهي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْباطِلِ﴾.

والثانية: طريقة جحد الحق وإخفائه حتى لا يظهر، وهي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾.

وأعتقد أن الكاتبة وقعت بالأمرين معاً...

D بعد بيان ما سبق أنتقل إلى ما زعمت الكاتبة أنه وراء مصداقية فضيلته، ووراء تصدر المشهد السوري، أعني زعمها " سيلان دم الشيخ على المحراب"، مما فجر حالة عاطفية لدى الجماهير أدت إلى التفافهم حوله!.

كنت أود من جنابها أن تسأل الشيخ قبل أن تكتب ما كتبت، لا سيما وأنها تقيم في استانبول عاصمة الخلافة العثمانية على نحو ما يقيم فضيلته.

كنت أتمنى أن تكلف خاطرها وتستوثق من معلوماتها ممن يقيم في مدينتها قبل أن تقيم من نفسها وصية وشاهدة على الأحياء.

لكن كما قلنا "التعميم" يريحها من عناء وجهد البحث الذي قد يصدم هدفها الذي رمت إليه...!!

ولما سألنا بعض هؤلاء الذين أتت على ذكرهم وجدنا أنها لم تكلف نفسها عناء التواصل مع أيّ منهم، وهذا ينطبق على فضيلة الشيخ سارية، وعلى فضيلة الشيخ باسل هيلم، الذي ذكرته أربع مرات في مقالها وعلى غيرهم ممن ذكرتهم، مع أن بعض إخواننا لما سألها لماذا لم تستوثقي منهم؟! أجابت بأنها طلبت فتم رفض طلبها..!!، لكننا لما عدنا إليهم تبين بطلان إدعائها، وبعض الإخوة قال إنه مستعد لمواجهتها.

إنها المرة الأولى في حياتي التي أرى فيها شهادة تمارس على الأحياء دون الرجوع إليهم، مع أن إمكانية الوصول إلى هؤلاء تدخل في إطار الأمر الميسر، لا سيما وأن دروسهم في استانبول تنعقد ما بين يومية أو أسبوعية، ونشاطهم على مدار الساعة قائم على قدم وساق، ومع ذلك لم ترجع إليهم، ولا إلى شهادتهم على العصر الذي كانوا جزءاً منه، وعلى المرحلة التي كانت الكاتبة أثناءها في ظلمة الأرحام، فضلاً عن أن تسألهم عن الأحداث الزمنية التي عاصرتهم فيها، مكتفية بشهادة ولي نعمتها "بيريه"!.

لقد أعرضت عن شهادتهم صفحاً ثم سمحت لنفسها أن تشهد عليهم!.

لقد تجاوزت كافة شهاداتهم بما فيها تلك الموثقة في قناة الحوار من نحو

شهادة أستاذنا شيخ قراء الشام فضيلة الشيخ كريم راجح_ حفظه الله_، وشهادة حكيم الشام فضيلة الأستاذ الكبير الداعية عصام العطار، ومن نحو شهادة الشيخ زهير الشاويش _رحمه الله، وكتابات العلامة الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني عن والده علامة الميدان المجاهد الشيخ حسن حبنكة الميداني، وذكريات فضيلة الشيخ علي الطنطاوي _عليه من الله سحائب الرحمة و الرضوان _، وكذا سجلات جمعية العلماء التي تعد وثائق حقيقية عن تلك المرحلة على ما أشار إليه أخونا فضيلة الشيخ مجير الدين الخطيب في رده على الكاتبة.

لكن مادامت كاتبة مقال الضّرار مصرة على أن تُدين الأحياء دون أن تعود إليهم، ودون أن تستوثق من فضيلتهم، وهي في عمر حفيداتهم؛ فإنني مضطر للمتابعة معها لكشف اللّثام عن الحقيقة التي عملت على الخلط المتعمد فيها بدافع الحسد، أو لعقدة في نفسها من أهل العلم سرت إلى شخصيتها ونفسيتها ومنها إلى كتاباتها، أو لتبعية وولاء لجهة لا ندري ما هي ماهيتها !.

نقول لأختنا الكاتبة: إن فضيلة الشيخ أسامة_حفظه الله _استمد مصداقيته من ثقة الجماهير بعلمه الغزير، واستقامة سيرته، و هجرته الأولى

في سبيل الله مجاوراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مدينته، كما استمدها من مواقفه التي انسجمت مع ما تعلمه وعلمه، وهو ما عاينه أبناء مدينته دمشق وكل من عرفه من السوريين والأتراك وسائر المسلمين داخل سورية وخارجها، كما يشهد له بها التاريخ، وتشهد به الجماهير.

إن من أبرز ما شهدته الشام على أرض الواقع المشاهد الملتحم بجماهيرها كان في تصدي فضيلته لعناصر الأمن المدججين بالسلاح الذين أحاطوا بجامع الشيخ عبد الكريم الرفاعي من كل ناحية ليفاوضهم على سلامة المعتكفين ليلة القدر في صدر الثورة السورية، وذلك حقنا لدماء شباب أبناء دمشق المحاصرين، معرضاً حياته للخطر بعد أن أبرم اتفاقاً مع ممثلي عصابات الأمن بخروج الشباب المحاصر بأمان، وعلى مجموعات، بحيث تخرج المجموعة تلو الأخرى، وبحيث تشق المجموعة طريقها من قلب الطوق المضروب عليها نحو منازلها دون أن ينالها أحد بأذى، فلما خرجت المجموعة الأولى، وكانت برفقة الشيخ ما كان من عناصر الاستخبارات إلا أن اعتقلتها، وأوجعت الشيخ أسامة ضربا حتى أدمته، وذلك خارج المسجد، حتى نادى الشباب من داخل المسجد خيانة.. خيانة _أي: خيانة جديدة للنظام_ وعادوا جميعاً معتصمين بالمسجد، في الوقت

الذي نقلت فيه الجماهير الشيخ أسامة إلى مستشفى الأندلس في كفرسوسه!.

\ إذن ليس في الأمر دماء للشيخ أهريقت في المحراب كانت السبب وراء التفاف الناس حوله لاحقاً، أو تصدره للمشهد فيما بعد، لأنه كان ولا يزال وجهاً من وجوه سورية والأمة الإسلامية، كما أن ما ذكرته الكاتبة من أن دماء فضيلته سالت في المحراب غيرصحيح.

إنه بالرغم من أنني من مواليد وسكان دمشق، وأحد خطبائها ودعاتها وأبناء الحركة الإسلامية فيها، وبالرغم من أنني كنت أقيم آنذاك في حي الميدان الدمشقي على مرمى حجر من جامع الشيخ عبد الكريم الرفاعي الذي تم حصاره بيد أني لم أسمع بتلك الرواية التي ساقتها الكاتبة والتي بنت عليها منزلة الشيخ ومكانته، والتي هي أشبه بحكايات الرافضة، وهو ما يعود بنا إلى ما سبق بيانه من ضرورة توثيق الكثير مما سردته الكاتبة على مسامعنا.

\ عموماً فإن المقال يتنافى مع الخيرية التي عليها الشام وعلماؤها، والتي أشارت لها الآيات، وصرحت بها الأحاديث، وشهدت بها الجماهير المسلمة في شتى بقاع الأرض بالشام وعلمائها ومدارسها، والذي تجسد بإرسالها

أبناءها لتلقي العلوم الشرعية على يد علماء دمشق، إلى جانب علوم التزكية والتربية والتوعية الفكرية في مؤسسات الخريطة العلمائية للعمل الدعوي في مدينة دمشق وما حولها، حيث وفد هؤلاء القادمون من مائة جنسية أو يزيد، وحيث خرجت دمشق علماء ودعاة ورجال فكر إلى كافة أنحاء العالم الإسلامي على مدى قرن من الزمان بالرغم من تواضع الإمكانيات قياساً على دول أخرى ترعى العلم وأهله، وهو ما يؤكد لنا أن ضرب العمل الدعوي في دمشق يعد جزءاً من ضرب امتداداته العالمية..

ويدخل ضمن الحرب العالمية على الإسلام التي لم تهدأ في يوم من الأيام، والتي بلغت أقصى درجات السعار في هذه الفترة من تاريخ بلادنا عندما تمكن هؤلاء العلماء من قيادة الجماهير التي تستجيب لتوجههم الذي رفض ان يكون توجها يصافح فيه العالم الحاكم، وضمن هذا الإطار جاء هذا المقال بغض النظر عن انتباه الكاتبة لما تصنع أو عدم انتباهها.

السادس عشر: إن المؤسسات العلمائية الدمشقية كانت ولا تزال مؤسسات مدنية علمية تعليمية دعوية وإغاثية، بحيث تقدم كافة الخدمات المتاحة لمجتمعها حُسبة لله تعالى، وبالتالي لم يكن لها في يوم من الأيام أي صلة بأي عمل عسكري مطلقاً، والاستثناء الوحيد كان في مواجهة ومنع قيام ما

سميّ لاحقاً دولة إسرائيل في حرب (١٩٤٧م) وذلك بقيادة العلامة الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله حين استقطب شباب الإيمان قرب العاصمة دمشق من كافة أنحاء سورية ومن غيرها من الدول العربية والإسلامية لمواجهة إرهاب العصابات الصهيونية المجرمة في معركة بطولية مفتوحة، سطر فيها شباب التوحيد أروع الأمثلة في الرجولة والتضحية والفداء لعرى الأمة والإسلام.

بيد أن هذا المشهد يظل استثناء لا يختلف عليه اثنان ولا يتناطح عليه عنزان، لأن ذهاب قطعة من أرض المسلمين هو أشبه بحريق هائل يهدد بنيرانه التهام سائر المنازل، وعلى جميع أبناء الحي القادرين أن ينتفضوا لإطفاء الحريق، ومن يتكاسل عن ذلك فهو المتخاذل الذي يشترك في جريمة تسعير أوار ذلك الحريق، فكيف إذا كان المغتصب هي الأرض المباركة فلسطين ؟.

وكيف إذا كانت درة تلك الأرض المباركة هي القدس الشريف التي كانت أرضها مستقر الإسراء، وفضاؤها قاعدة المعراج.

أما الطليعة المقاتلة في نهاية السبعينيات ومطلع الثمانينات فلم تكن ضمن التركيبة العلمائية، وإنما كانت مجموعة من الشباب المتحمسين

والغيورين الذين أوصلهم ظلم ديكتاتور الشام، وملاحقته لشباب الأمة ، ومحاربته للإسلام إلى الانفجار في وجهه أمام الضغط الكبير الذي مارسه في حق سورية فانفصلوا عن مؤسساتهم، وأطلقوا العنان لعنفوان شبابهم، فكانوا الذريعة لزج صفوة شباب سورية من كافة المؤسسات آنذاك في غياهب سجون النظام، لاسيما وأن علاقتهم بالشباب من سني عمرهم من المنتسبين لسائر المؤسسات أدى إلى جر العديد من هؤلاء إلى قرارهم الشبابي غير محسوب العواقب الذي دفع الكبار والصغار فاتورته، لكن المؤسسات الرسمية بقيت على أدائها المدني، وما تزال باقية على هذا الأداء حتى زمن الثورة السورية المباركة حين كشر طاغية الشام الابن عن أنيابه فتسبب بأخطر تغيير ديموغرافي في سورية على مستوى انتشار أهل السنة والجماعة فيها وهم الأكثرية المطلقة في البلاد، ومع ذلك فقد ظل نشاط المؤسسات العلمائية ما بين الجهاد بالكلمة، والموقف الشريف الذي قد يوقع صاحبه بمخاطر التهديد، أو الاعتقال والتعذيب والتصفية الجسدية ، أو ألم الغربة...، وما بين العمل الإغاثي والاجتماعي الذي تتقنه تلك المؤسسات، وذلك ضمن تأييد كامل للثورة السورية في عموميات نشاطها دون انتساب إلى جناح من أجنحتها مع التحفظ على الجماعات

التكفيرية، ورفض استباحة تلك الجماعات لدماء السوريين، وإنكار فهمها السقيم لنصوص الكتاب والسنة، بل ومقارعة أصحابها ومنابذتهم العداء، لاسيما وأن تلك الجماعات التكفيرية العابرة إلينا من وراء الحدود أدخلت البلاد في جدل أفلاطوني في مسائل الجزئيات الخلافية يبدأ ولا يكاد ينتهي ، ويصرف الناس أول ما يصرفهم عن ثورتهم وجمع كلمتهم.

والعجيبُ أن الكاتبة لم تتناول تلك الظاهرة، ولم تتحدث عن تصدي المؤسسة الدينية لها في دمشق وفوق سائر التراب السوري، وفي كل أرض، مع أن حديثها فيما عنونت له كان عن القصة الكاملة، لكنها في واقعها ظلت في مقالتها "ناقصة و مجتزأة" في كل شيء حتى في عنوانها وغلاف صورتها!.

\ المؤسسات الدينية والعلمائية والدعوية تابعت مسيرتها في زمن الثورة من خلال المجلس الإسلامي السوري الذي يمثل كامل أطيافها على اختلاف مشاربها ليشكل أكبر وأوسع وأهم مرجعية إسلامية في سورية والتي كان حاضراً فيها بالبداهة الكثير من علماء دمشق، أما من لم يكن موجوداً في جسمها العضوي أو التأسيسي فقد كان موجوداً فيها من خلال الاعتراف التام بها، والتقدير لها، والذّود عن وجودها، والتحلق حول مرجعيتها الإسلامية للشعب السوري المسلم.

هذه المرجعية من خلال مؤسساتها المنضوية تحت رواقها من نحو رابطة علماء الشام ورابطة العلماء السوريين وهيئة الشام الإسلامية وسائر المؤسسات الأخرى التي بلغت العشرات كانت تفتي وتوجه وتصحح البوصلة للشعب السوري من خلال مجلس الأمناء في كافة المجالات دون أن يكون منها أدنى تدخل في الجسم العسكري للثورة، مكتفية بالقيام بالدور الإغاثي والاجتماعي والتعليمي والدعوي والتربوي الذي كانت تقوم به داخل سورية.

ولما كان العديد من أبناء مساجد دمشق من المزّة إلى الميدان مروراً بسائر الأحياء قد التحقوا بفصائل عسكرية بقرار خاص بهم دون استشارة مؤسساتهم، وذلك من نحو فصيل أجناد الشام العسكري _ الذي كان الأقرب لوسطية التدين الشامي الذي عرفت به دمشق_، والذي ذاب فيما بعد باختياره في فيلق الرحمن، فقد صار من البدهي أن تجد مثلاً شباباً تتلمذوا في جامع الشافعي أو في أحد مساجد زيد أو في غيرها من المساجد قد صاروا في زمن الثورة جسر العمل الإغاثي فيما بين الغوطة وتلك المؤسسات المرسلة، لا سيما وأن إدارة أمر الغوطة قد آل إليهم زمن الحصار، وأنهم كانوا موضع ثقة الطرفين _ المؤسسات وأهالي الغوطة_بعد

أن اختار هؤلاء الشباب البقاء في الشام إثر ملاحقة عصابات النظام لهم رافضين الذهاب إلى تركيا أو أوربا أو إلى أي جهة أخرى.

تلكم هي الحقيقة الناصعة التي سارت عليها مؤسساتنا في دمشق وسائر مؤسسات سورية.

\ أما ما غمزت له الكاتبة أو همزت به فقد كان في إقحام المجلس الإسلامي السوري بما فيه من مؤسسات في دعم بعض تلك الفصائل عسكرياً وتقديم السلاح لها !.

\ هذا الزعم كذب وافتراء ما بعده بهتان في تاريخ الكذب والبهتان والافتراء!.

هذا الادعاء من الكاتبة؛ هراء ما بعده من هراء، وإني لأربأ بها عن هذه الظنون والاتهامات بعد أن سمعت عنها العديد من صفات الخير، ولا أدري من الذي أدخل في قناعاتها هذه الاتهامات الباطلة التي لا دليل عليها !.

ولا أدل على ما أقول من أنني سمعت بأذني رأسي الكثير من الطعون من بعض الناس بالمجلس الإسلامي ومكوناته من أنه مجلس يكتفي بالبيانات فقط، ومن أنه يرفض أن ينتقل إلى الناحية العملية بدعم الفصائل

أو فصيل منها، وأن رفضه يدل على سلبيته، و لقد كان الجواب على الدوام؛ بأن المجلس الإسلامي ليس أكثر من مرجعية إسلامية للسوريين، وأن هذا هو دوره، وتلك هي وظيفته التي لن يتجاوزها، وأن عمل بعض مكوناته في المجال الإغاثي والاجتماعي يدخل في إطار العمل الذي يتقنه.

كما سمعت ذات الكلام من خلال نقاشات حادة حول أداء رابطة العلماء السوريين الذي ينأى بنفسه عن دعم عسكري لفصيل يختاره أو أكثر، وكان الجواب الثابت على الدوام:

D نحن مؤسسة دعوية نؤيد الثورة بعمومها خلا التكفيريين y

هذه الانتقادات الشديدة اللهجة كانت من داخل تلك المؤسسات، لذلك لو أن فرداً من أفراد تلك المؤسسات قدم الدعم المادي لفصيل ما بباعث الغليان الذي في أعماقه ضد النظام وإرهابه فلن تتحمل مؤسسته تبعات تصرفاته، لاسيما وأنه ينتقد بشدة مؤسسته لما يراه تقاعساً منها، ومع ذلك فإن هذا الأمر لم يثبت.

لقد كان جرّ الثورة إلى العمل العسكري من سياسة واستدراج النظام للثورة، كما كان رفض دعم العمل العسكري من سياسات المؤسسات العلمية والدعوية السورية، لأنه خارج عن السياسة التي خطوها لأنفسهم،

وعن الاختصاص الذي يجيدونه.

أما العمل السياسي الذي هو حق كل فرد من أفراد الأمة إن كان يجيد ذلك فلم يكن حاضراً يوماً ضمن خطة عمل تلك المؤسسات، لكنها كانت ولا زالت تؤيد من تراه غيوراً على أمته، ذا عقيدة سليمة وسيرة حميدة وأهلية قائمة ومصداقية عند الجماهير ثابتة.

هذه السياسة مردها عند تلك المؤسسات إلى أن ترك العمل في السياسة هو من السياسة ذاتها، لا سيما في ظل ديكتاتوريات قائمة تمسك بالإعلام إمساك الأفعى بالسموم في مقدمة فمها، فالسياسة تحتاج إلى اختصاص كما تحتاج إلى أجواء كاملة من حرية العمل السياسي.

هذا الحكم على عمل تلك المؤسسات يعتريه استثناء واحد يتجسد بجماعة العلامة السباعي-رحمه الله- التي قامت منذ نشأتها الأولى على سد هذه الثغرة في الأمة إثر سقوط الخلافة العثمانية وحدوث فراغ سياسي حقيقي فيها، فكان اجتهادها ضرورة سد تلك الثغرة على سبيل فرض الكفاية لذلك أتقنتها، ولهذا وجدت الدعم الحقيقي من كافة المؤسسات المخلصة والعلماء الصادقين .

١ بناء على هذا أستطيع أن أقول:

إنه لم يكن لرابطة علماء الشام ولا غيرها من الروابط دور في تشكيل الائتلاف، أما ترشيح فضيلة الشيخ معاذ الخطيب لرئاسة الائتلاف فقد كان بناء على ترشيح المجالس المحلية له، وأن الرابطة سمعت بذلك الخبر على نحو ما سمعه سائر الناس، وهو ما أكده فضيلة الشيخ مجير الدين الخطيب في رده على مقالة الكاتبة، على أن الشيخ معاذ -حفظه الله- لم يكن يوماً من المنتسبين العضويين لرابطة علماء الشام، وبالتالي فلا وجه لزعم الكاتبة بأن الرابطة ركزت جهودها لتشكيل الائتلاف وتقديم الشيخ معاذ رئيساً له!!.

\ أما وجود فضيلة الشيخين الكريمين عبد الكريم بكار، وأبي الخير شكري في عضوية الائتلاف فقد كان بمبادرة شخصية منهما، ولو كانت الرابطة وراء تشكيل الائتلاف لما انفصل عن جسمه الدكتور البكار بعد فترة، ولما عزل من منصبه الشيخ أبو الخير في رئاسة لجنة الحج العليا السورية بعد سنة واحدة من توليه ذلك الملف الذي يعد الملف السيادي الوحيد في يد الثورة السورية المباركة.

\ أما ما ادعته الكاتبة من أن الأستاذ الشاب باسل هيلم يقود المكتب السياسي لجماعة زيد، وأن فصيل أجناد الشام يجسد الذراع العسكري

للجماعة، وأن جامع زيد مسئول عن الأجناد مرجعية وتمويلاً وتوجيهاً فهذا كذب صراح، وافتئات بواح، وزعْمٌ عار عن الصحة، وادعاء يلقيه من يلقيه جزافاً بلا بينة !.

D ولا أدري من أين تستقي تلك المرأة التي تهرف بما لا تعرف معلوماتها ؟! .

إن هذا الكلام الخطير الذي يسيء إلى تلك المؤسسات المدنية عار عن الصحة، وهو إنما يصب في إطار الهجوم على العمل الدعوي والعلمي والتربوي والاجتماعي والإغاثي في مدينة دمشق وريفها وفي بلاد المهجر التي ينتشر فيها السوريون، حيث لن يتضرر من إيقافه سوى أبناء الشعب السوري المكلوم.

ووالله لو أن الأخ باسل هيلم كان يمارس العمل السياسي في إطار خدمة دينه ووطنه وأمته وجماعته لما كان في ذلك من تثريب عليه، إذ لا ضير في أن يمارس المواطن المسلم ما هو حق له إن اختار طريقاً لديه الأهلية للقيام فيه، لكننا في الوقت الذي نجد فيه الأخ باسل لا يمارس سوى العمل الإغاثي في إطار مؤسسات المجتمع المدني، وفي الوقت الذي نجد فيه إنكار الأخ باسل لأي عمل سياسي في زمن الثورة نجد من الكاتبة

إصراراً على قيامه بعمل سياسي وتأكيداً عليه !.

\ والسؤال الذي يفرض نفسه:

لمصلحة من ذلك الإصرار، وخدمته تؤدى لأي جهة من الجهات المشبوهة، ولحساب من تقدم تلك الخدمات التي لن يتضرر منها سوى الشعب السوري والعمل الدعوي، لا سيما وأن إصرارها على ما ذكرناه في شأن الأخ باسل هيلم اقترن بإصرار آخر مواز له وهو نسبة القائد الغوطاني أبي محمد الفاتح إلى المكتب السياسي لجماعة زيد، مع أن الذي يعرف الفاتح يدرك أنه وعائلته في تاريخها الطويل لم ينتميا إلى جماعة زيد يوماً، ولا صلة له بتلك الجماعة وإنما انتماؤه لتيار إسلامي آخر لا علاقة له من الناحية العضوية بجماعة زيد.

كما أن إصرارها في شأن هيلم والفاتح لازمه زعم ثالث مفاده بأن الجولاني كان يحضر في جامع الإمام الشافعي في المزة عند الشيخ أبي الخير شكري، الذي كان ولا يزال جزءاً من جغرافية علماء الشام ورابطة علماء الشام ومساجد زيد والمجلس الإسلامي الذي يرفض فكر الجولاني التكفيري والقاعدي جملة وتفصيلاً، ويرى أنه أنزل بالأمة الويلات، لذا فقد آلى على نفسه محاربة توجهه وفهمه وإسقاطاته !.

ماذا يضير الشيخ أبوا لخير أن يحضر في خطبة الجمعة لديه الجولاني أو غيره والجامع كبير، ولا حاجز يمنع أحداً من الدخول، ومن بداهة خطبة الجمعة أن الخطيب لا يعرف إلا النذر اليسير من المصلين، ويجهل الجموع الغفيرة التي تؤم المسجد الجامع، بينما تعرفه تلك الجماهير؟!.

ألم يجلس عبد الله بن أبي بن سلول إلى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعاً يديه على فخذيه الكريمتين بينما ابن سلول رأس المنافقين؟.

ألم يخرج ابن أبي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو عدوه، فهل يقول قائل اليوم: إن علاقة عقدية تربط رسول الله عليه السلام برأس المنافقين لأنه كان يجلس إليه و يخرج معه.؟! .

إن من يقدم لنا هذا الزعم المبتور هو كمن قدم لنا ذاك الربط الفاسد بين الشيخ أبي الخير شكري والجولاني!، وبالتالي بين الجولاني ورابطة علماء الشام !، وبالتالي بين الجولاني والمجلس الإسلامي!، وبالتالي بين الجولاني والائتلاف !.

D أي مخبول يزعم هذا ؟!.

هل ضاعت البوصلة عند الناس حتى يصدقوا أمثال هذه الترهات ؟!.

إنه في الوقت الذي نجد فيه فضيلة الشيخ أسامة الرفاعي_حفظه الله_

يؤكد على أن المجلس الإسلامي السوري لا علاقة له بالجولاني ولا بفكره الموتور، ويصدر البيانات المنددة بشأنه، وفي الوقت الذي يؤكد فيه فضيلته على أن لا علاقة للمجلس الإسلامي بالمشهد العسكري تشكيلاً أو دعماً مادياً، وإنما له علاقة بالمشهد الدعوي والإغاثي والتأييد المعنوي لعموم الثورة السورية عندما يتصدر مشهدها وسطيون يجمعون ولا يفرقون، يحقنون الدماء ولا يستبيحون، يردون الظلم عن أنفسهم وأهلهم ولايمارسون؛ نجد إصرار الكاتبة على أن أجناد الشام هو الجناح العسكري لمؤسسة زيد، في سعي منها لإقحام المجلس ومؤسساته في مسألة لم يعملوا فيها يوماً!.

فما المقصود من سوق هذه التهمة وإلصاقها بمؤسسة زيد أحد مكونات المجلس الإسلامي؟.

المقصود أنه مادام فصيل أجناد الشام قد ذاب في فيلق الرحمن فسيذوب عمل مؤسسة زيد في رحى هذه الحرب الطاحنة التي يقودها النظام، وبالتالي فسيذوب المجلس الإسلامي لاحقاً في رحى تلك الحرب أيضا!.

والمقصود أنه مادام فيلق الرحمن قد رحل إلى إدلب فسيرحل عمل مؤسسة زيد إلى خارج الحدود، ولن يكون له دور في المرحلة القادمة،

وبالتالي فسيرحل عمل المجلس الإسلامي أيضاً!.

المقصود أنه مادام فصيل أجناد الشام الذي ترعاه الجماعة على حد زعم الكاتبة ووفق إيماءاتها قد انهار فهذه مقدمة لانهيار الجماعة، وهي مقدمة لانهيار المجلس !.

\ إنها الرسائل المسيئة التي تصر الكاتبة على إرسالها دون أن تنتبه إلى خطورة خبطها خبط عشواء بسيف أستاذها "توماس بيريه" الذي افتتنت بكتاباته، فأخذت تشوه بحقده صورة مدينتها العامرة ونشاطات أهلها الطيبين الرائعين، ودون أن تلاحظ أن عمل مؤسسة زيد أو السباعي أو سائر المؤسسات الرائدة هو عمل ذو جذور متينة أقوى وأمضى من أن ينال منه مقال، أو تستأصله عواصف الأزمات، لأنها -أعني تلك المؤسسات- كانت ولا زالت مرتبطة بمدد الله الذي لا يفهمه الغوغائيون، ثم بدعم الجماهير التي عرفت عن كثب حقيقة تلك المؤسسات، وتضحيات رجالاتها، ومصداقية دعاتها والتزاماتها مع أمتها.

الجماهير السورية كانت ولا تزال على وفائها مع علماء دمشق ودعاتهم وناشطيهم، وهي لا تنسى حين كانت ضربات النظام الإرهابية في الثمانينات تلاحقهم، وتعتقل شبابهم، وتضرب في مشاريعهم، وتعمل على

الفت من عضدهم حتى وجدت جماعة زيد مثلاً أمام تلك الضغوط أن تحل نفسها، وتخفف الضغط عن أبنائها، وتدع لكل رمز من رموزها، وناشط من نشطائها البارزين المضطهدين قرار العمل في تلك المرحلة على الوجه الذي يراه مناسباً وفق ظروفه الخاصة التي هو أدرى بها، فاختار من توالت عليهم الضربات الهجرة في سبيل الله، لكن بعد أن حَلَّت الجماعة نفسها وليس قبل ذلك، حيث تلقى هؤلاء ضغوطاً تنوء عن حملها الجبال؛ بهدف تحويل منابرهم إلى منابر تلهج باسم النظام، وتتفرغ لشتم جماعة السباعي في الغدو والآصال، ومن هذه الفئة من تعرض إلى جانب هذا إلى ضغوط في أهله وأوضاعه الأسرية والاجتماعية فكان قرار الهجرة هو ما انشرحت له صدورهم، ومن هؤلاء رئيس المجلس الإسلامي السوري.

أما من ضيّق عليهم دون الوصول إلى درجة الضغوط تلك فاختاروا البقاء في الظل ريثما تمرّ العاصفة.

لقد كان ذلك القرار قاسياً على الجميع بشقيه أعني: قرار حلّ الجماعة، ثم قرار الهجرة أو البقاء، ولم يكن اتفاقاً مع حاكم جائر، لكنه كان ضريبة رفض مصافحة العالم للحاكم، كما لم يكن نفياً من قبل طاغية الشام الأب، لكنه اختيار المضطر الملجئ الذي ليس له خيار، فكان رجال كلا الاتجاهين

أصحاب حظوة عند الناس، لذلك وجدناهم في غضون سنوات يعودون ويبنون وينطلقون وكأن سني الخروج ما نزلت بهم يوماً، حتى زادتهم أيام غربتهم قوة إلى قوتهم، وتجذرا إلى تجذرهم، وذلك لوجود العاملين الذين أشرت إليهما، وهو ما أرعب النظام الذي بلغ ذروة خوفه في حفل تكريم كبار شيوخ القراء في دمشق حين لم يكن لدى شيوخ زيد العائدين إذاعة أو قناة محلية أو فضائية أو أي وسيلة إعلامية رسمية أو غير رسمية، ثم بمجرد الإعلان عن الحفل اجتمعت الجماهير في جامع الشيخ عبد الكريم الرفاعي فملأت المسجد وسدته وطوابقه وساحاته الخارجية والأرض المحيطة به حتى أغلقت الشارع المجاور الذي يُعدُّ عصباً رئيساً من بين شوارع دمشق الكبرى، وذلك على مرأى من رجال الأمن وضباطه الذين كانوا يتابعون ذلك الحدث التاريخي من نوافذ مكاتبهم في مبنى المخابرات العامة الذي لا يبعد أبداً عن موقع الحفل في جامع الشيخ عبد الكريم سوى أمتار قليلة.

لقد عادوا إلى دمشق عودة الأبطال، ورجعوا إليها رجوع الفاتحين الرجال، وغداً سيتكرر المشهد بإذن الله تعالى، وسيعودون_ وسائر أبناء المؤسسات الوسطية التي رفضت أن تصافح النظام_أقوياء منعة، ولن يتحقق_ بإذن الله_ما زعمته الكاتبة من أن المشترك بين تلك المؤسسات

التي تتكون منها خريطة دمشق العلمائية، والتي يُشكل نسيجها شريحة حاضرة في مكونات المجلس الإسلامي السوري هو تفكك قواعدها الجماهيرية، وفي ذلك إصرار جديد من الكاتبة تمارس فيه دور نذير الشؤم على مدينتها وبلدها والدعوة إلى الله فيها، ولن يحقق الله سبحانه يوماً شهوتها ورغبتها.

مشكلة الكاتبة أنها لا تستطيع أن تميز بين الكتابة والواقع، وأنها تذكرني بذلك المهرج "غوار" في مسرحية "ضيعة تشرين" التي عرضت في سبعينيات القرن الماضي عندما سأله أحدهم: أمن خلال بيت واحد من الشعر تستطيع أن تعيد كرم العنب ؟!. فيجيبه وهو يترنح:

"إنني بقصيدة واحدة أستطيع أن أعيد الأندلس"

\ إن الكاتبة تملك أن تتمنى نزول الشرور في مدينتها دمشق ومؤسساتها العلمائية وأهلها الطيبين، وتستطيع أن تنفث بقلمها ما تجمعه من أحقاد الدنيا؛ لكنها لن تملك في مقالتها نسف ما تتمنى انهياره أبداً.

وإن الكاتبة تملك أن تحمل معول الهدم والتدمير في كتاباتها؛ لكنها لن تتمكن من تحطيم صخرة متجذرة استعصت على عتاة الأعداء.

إن المثال الحضاري الرائع الذي تجسد في جماعة زيد، وفي جماعة الميدان،

وفي جماعة السباعي، وفي جماعة الشيخ عبد الرزاق الحلبي في ماضي الزمان؛ سيتجسد من جديد بتوفيق الله في قادم الأيام.

وإن الضربات المتلاحقة التي نزلت في جماعة زيد والسباعي دون أن تؤثر في ثبات مسيرتهم سيتجسد مثالها من جديد لدى دخول المؤسسات العلمائية دخول الفاتحين إلى الشام.

لقد تمكنت المؤسستان من بناء مؤسسات مدنية جبارة في زمن الهجرة، ومن ترميم نفسيهما بقوة في فترات الفتن، وكلتاهما ستعودان_ بإذن الله_ مع سائر المؤسسات أقوى من أي وقت مضى، في الزمن القادم القريب الذي يحمل في جنباته الكثير من الخير بتوفيق الله، وسيخيب الله أمل كل من أقام من نفسه نذير شؤم بين أبناء قومه.

وصدق الشاعر حين قال:

إذا كان الْغُرَاب دَلِيل قوم..... سيهديهم إلى دار الخراب

إِذا كَانَ الْغُرَاب دَلِيل قوم .....يدلُّهُمُ على جِيَف الْكلاب

السابع عشر: هذه النقطة هي أخطر النقاط في تقديري –والله تعالى أعلم– فإذا كانت مقالة الكاتبة قد جاء في خاتمتها قولها:

(فهل ستعودون)؟!!.

فإن خاتمة النقاط في هذا الرد الجامع المانع المقتضب هو لماذا هذا السؤال بالذات ؟، وفي أي سياق يأتي ؟.

إنَّ سؤالها الذي مرّ عليه الكثير من القراء مرور الكرام لا يجوز قطعه عن سائر النقاط من جهة، أو عما يجري في المحيط الخارجي من جهة أخرى:

أما ما سبق في مقالة الكاتبة من أفكار فقد كان جميعه يرد في معرض التشكيك بالمؤسسة الدعوية الدمشقية، وفي إطار هدم الثقة القائمة بينها وبين جماهيرها، وفي دائرة الافتراء عليها والسعي بها نحو الهاوية، لهذا أكدت الكاتبة في مقالها على العلاقة المتجذرة بين الشيوخ المنشقين والمؤسسات التي انشقوا عنها، بينما تحدثت في خاتمته باستفهام انكاري رافعة من نبرة صوتها بقولها: فهل ستعودون ؟!.

سؤال فيه الكثير من الغمز واللمز، ومقصودها أن تنتهي إلى أن من هذه طبيعتهم فإنهم سيعودون وسيخيبون آمال الجماهير فيهم!.

أما المحيط الخارجي الذي تم تقديم المقال في أجوائه فنستطيع أن نتلمس حقيقته من خلال النشاط الحثيث للنظام منذ نهاية العام ٢٠١٧ حتى اليوم حين بدأت مخابرات العهر الدموية في دمشق تعزف على سنفونية العودة إلى حضن الوطن، وهو مصطلح معسول على غرار سائر

مصطلحات النظام، والمقصود منه العودة إلى حياة الذل والهوان في حضن النظام الذي صادر الأوطان و الإنسان !.

أول من استهدفهم النظام في هذا النشاط هم التجار مسخراً شبكة أخطبوطية من الشبيحة في هذا الوسط يدينون له بالولاء، مستثمرين علاقاتهم مع السوريين بواسطة تجاراتهم الواسعة التي يقيمونها مع أقرانهم في استانبول وغازي عينتاب وسائر المدن التركية وغير التركية ، ومن هناك بدؤوا يبثون بين التجار مقولات إرجافية تصب في مصادرة الثورة السورية، والعمل على إجهاضها من نحو أن النظام استعاد الأرض ومن ثم استعاد عافيته، وها هو يرفع الحواجز في دمشق، ويعيد إلى المدينة الحياة الطبيعية التي امتدت إلى كافة شرايين أحياء دمشق، و بوسع تجار سورية المقيمين في الخارج أن يعودوا مرحبا بهم، أما من كان له نشاطات سابقة ضد أجهزة النظام فهناك من يمكنه أن يصحح له أوضاعه، ويرتب له أموره، وبوسعه أن يثق بالأمان الذي سينعم به وعائلته وسائر من يلوذ به!.

هذا المسار الاستخباراتي كان لأعضاء غرفة التجارة في دمشق دور بارز في تأديته !.

بعد شريحة التجار انتقل النظام إلى فئة السياسيين حيث بدأنا نسمع عن عودة فلان ثم فلان ثم فلان .....إلى أحضان أسيادهم في النظام، ومنهم من لم يغادر ذلك الحضن التتن يوما اللّٰهم! إلا أثناء تأدية الدور المنوط به فقط!.

بعد التجار والسياسيين أخذ صدى أخبار عودة بعض الناشطين في الفصائل يتردد على مسامعنا بين الفينة والأخرى !.

هنا بدأت معنويات الناس تهتز بعد أن سقط من سقط من التجار والسياسيين وناشطي الفصائل، فصار لزاماً على النظام نقل خطته التي تنفذ على مراحل إلى شريحة السادة العلماء وما يتبعها من مؤسسات، وما يدور في فلكها من دعاة ورجال فكر وإغاثة تزامنا مع حملة غير نظيفة واتصالات مشبوهة استهدفت بعض أمناء الأفواج والمرشدين الدينيين العاملين تحت رواق لجنة الحج العليا السورية التابعة للائتلاف وقوى المعارضة السورية!.

\ لقد تزامنت مقالة "ليلى_بيريه" مع هذه الحملات الممنهجة على مدى قرابة الثمانية أشهر، لتصب في خانة حراك النظام، ليسير الطرفان في تحقيق غاية واحدة هي إماتة روح الثورة في نفوس الناس، وإماتة روح الأمل في

إعادة إحيائها من جديد من خلال رسالة غير مكتوبة يتبناها النظام في نشاطه، وتتبناها ليلى وأستاذها بيريه في كتابته ألا و هي:"إن كنتم أيها السوريون تراهنون على التجار فقد تبرأ منكم التجار، ورجحوا كفة مصالحهم في جانب النظام الذي يفتح لهم اليوم كل أبواب الربح شريطة أن يعودوا !

وإن كنتم أيها الكارهون للنظام،الحريصون على إعلان وفاته تعقدون الأمل على السياسيين فها هم السياسيون يتساقطون وينزلقون على زلاقات خاصة تنتهي بهم نحو (حضن الوطن) !.

وإن كنتم أيها المهجرون قد تعلقتم بالفصائل ونجاحاتها فها هي الفصائل تتقهقر أمام ضربات النظام وبطش أسياده من ميليشيا موسكو وطهران، لا بل ها هم بعض ناشطي الفصائل يعودون إلى حضن النظام بعد أن تبين للجميع أن بعضهم كان من رسله وضباط مخابراته !.

\ أما إن كنتم تتعلقون بالعلماء والدعاة ورموز ثورتكم في كافة المؤسسات فها هم رموزكم يتخلون عنكم ويتركونكم لمصير مجهول بعد أن أمنوا أنفسهم مع النظام !.

\ وإن كان رهانكم على المجلس الإسلامي ومبادئه الخمسة فإننا سوف

نسقطها من خلال تواصلنا مع شيوخها وسحبهم الواحد تلو الآخر نحو دمشق!.

\ أما إن كنتم تراهنون على لجنة الحج العليا السورية وملفها السيادي فسنقيم مصالحات فردية مع من يرضى من أمناء الأفواج والمرشدين الدينيين حتى نأتي لجنة الحج من أطرافها شيئاً فشيئاً، فنسحب البساط عن مديرها بانفضاض الأكثرية عنه وهو لا يدري فتنهار نجاحاته بسقوط مؤسسته بعد تفتت مرتكزاتها!.

D بهذا الخبث يتحرك النظام منذ شهور طويلة!.

D وبهذه التبعية يروج الشبيحة من تجار وسياسيين وعملاء فصائل وشيوخ سلطان!.

\ وبهذا السياق ينبغي على القارئ الحصيف أن يربط مقالة ليلى بتلك الحملة الممنهجة من قبل النظام سواء أدركت أختنا ماذا تفعل أو لم تدرك، وهو ما يؤكد لنا أن ليلى ليست وحدها في الساحة سواء كانت منساقة إلى ذلك بسلامة صدر بينما هناك من يحشو فكرها بهذا الكم الهائل من الواردات الفاسدة والمعلومات المغلوطة، أو كانت تنسق وتنفذ عن علم ودراية وسبق إصرار وتصميم.

D إن الكاتبة تراهن من خلال سؤالها الذي ختمت به مقالتها:

(هل ستعودون ؟!)على أن المشايخ سيعودون وسيتخلون عن جماهيرهم وسيخذلون تلك الجماهير!.

كما أن المقصود من جهود النظام في محاولته جذب كل هذه الفئات إليه _والتي كان آخرها سعيه في تصيد العلماء والمحسوبين عليهم من بعض العاملين في حقل لجنة الحج العليا السورية في صفوفها التفويجية_ أن تنهار الثورة من خلال حث الناس على العودة إلى دمشق تحت راية النظام ورموز أجهزته، وزرع أكاذيب عن بقائه واستمراريته وعودته!.

والمقصود كذلك أن يعيد النظام تأهيل نفسه على نحو ما كان قبل الثورة، ولهذا فإنه يستنفر كافة شبيحته وجميع رجال إعلامه للمضي في هذه الخطة الجهنمية الخبيثة التي يأتي مقال ليلى في سياقها ومتزامنا معها! .

\ إن من لم يقرأ مقالة ليلى بيريه ضمن هذا السياق فإنه لم يقرأ مقالتها !.

\ وفي مناسبة ما سبق ذكره من الحديث عما يسمى عودة النظام فإني أبشر القارئ الكريم بأن نظام الإرهاب البعثي النصيري الإلحادي المجرم في دمشق لن يعود، لأنه الآن في موت سريري، ولأن من يأتي بموسكو وطهران وبعشرات الميليشيات الرافضية من كافة أنحاء المعمورة فإنه لا

يمكنه أن يعيش أو يحكم أو يستمر في الحكم، ولأن التحديات لديه الآن أكثر من أي وقت مضى، ولأن خوفه ورعبه في هذه الفترة هو أشد وأفظع من أي وقت مضى،ولأن طاغية الشام بشار بات لا يملك كلمة واحدة على حاجبه الشخصي إلا من خلال رضى القوات الأجنبية التي سلطها على نفسه قبل أن يسلطها على شعبه، وهو ما تفيد به التقارير الرسمية القادمة من أروقة نظام دمشق، ولأن طاغية الشام قد باع سورية حتى نهاية القرن الحالي إلى روسيا، وبالتالي فلدى السوريين جهاد وحرب مفتوحة مع المستعمر الروسي في القرن الحادي والعشرين على غرار جهاده وحربه المفتوحة مع المستعمر الفرنسي في القرن العشرين، ولأن نظام دمشق قد باع نفسه للشيطان المجوسي في إيران بهدف الحفاظ على عرش النظام مما أدخل موسكو وطهران في حرب حقيقية داخل سورية على المصالح وعلى العقائد، حتى أبلغه الكرملين بضرورة مغادرة الإيرانيين وميليشياتهم الرافضية أرض سورية فإن رضخ لهم اغتاله الإيرانيون، وإن لم يرضخ لهم اغتاله الروس بعد استنفاد صلاحية ورقته، ولهم بهذا سابقة مماثلة في أفغانستان، والكلام في هذا يطول، وليس هنا موضع التفصيل في، لكن فرضه علينا سياق الكلام.

١ والخلاصة بعد هذه السياحة الفكرية الشاملة أن المقال يتنافى مع الخيرية التي عليها الشام وعلماؤها، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلاَ خَيْرَ فِيكُمْ [1]» فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل حال أهل الشام مرآة لحال عامّة المسلمين؛ إذ لا خير فيهم إذا فسد أهل الشام.

لذلك فإن فساد أهل الشام أو صلاحهم لا يعني أهل الشام فقط؛ بل يعني كل مسلم على وجه الأرض.

١ بيد أن هذا الذي سبق بيانه في الرد على مقالة الأخت ليلى لا يعني أنني أبرئ تلك المؤسسات والتيارات والروابط من أخطاء وقعت بها، وأسجل تحفظاتي عليها، وأرفع الصوت بها صادقاً لكن ليس بالأسلوب التهديمي الذي انتهجته الكاتبة، ولا بتزوير الحقائق أو تلبيس المسائل أو الدفع بالجميع نحو الهاوية؛ وإنما بالتناصح الغيور، والجلوس على مائدة مستديرة نتبادل فيه النصح، ونقوم بعملية مراجعات كاملة لمسيرة قرن من الزمان فما خلقنا على العصمة التي لا تكون إلا للأنبياء، وإنما طبيعتنا البشرية تجعل

---

[1] أخرجه أحمد، وابن أبي شيبة، والترمذي وقال: حسن صحيح، كما أخرجه الطبراني، وابن حبان عن معاوية بن قرة عن أبيه، وقد صححه غير واحد من الحفاظ. انظر (جامع الأصول ٩/٢٠٥)

من البداهة لأحدنا أن يخطئ، وأن يراجع نفسه ويتراجع عما وقع فيه من خطأ، لكن ذلك لا يقدح في عدالتنا أو عدالة من هذا ديدنهم إذا كانوا يجتهدون لله تعالى لما فيه صلاح أمتهم.

إن مؤسساتنا العلمية والدعوية بما تقدمه من خدمات تعليمية وتربوية واجتماعية وإغاثية هي حصوننا التي نحتمي بها، ونلتجئ إليها، وننطلق في جهادنا منها، ونعود بعد عناء الدرب إليها لنستظل بظلها، ونطور من شأنها، ونرمم من تصدعها، ونرتقي بها وترتقي بنا.

\ هل من الطبيعي إذا ما وجدنا تشققاً في جدران حصوننا الخلفية أن نهدم تلك الحصون على نحو ما تسعى إليه الكاتبة !!، أما من رأى ضرورة الهدم والتدمير والاستئصال فإنه يعاني "داعشية" فكرية لا تبتعد عن داعشية التكفيريين التدميريين قاطعي الرؤوس قِيد أنملة !.

\ و أما كون المقال هداماً؛ فلأنه مبطن تبطيناً بالسعي نحو هدم مجتمع العلماء الدمشقي الذي هو أكثر ما يميز دمشق، والوسيلة هي السرد الخبيث الموجه، وتشويه صورة العلماء، ويبدو أن الأخت "ليلى" صارت متتخصصة بالسعي لهدم المدارس الدمشقية، لكن هل تقدم على ذلك بهدف الشهرة ؟! أو بباعث آخر ؟!الله أعلم، والأيام حبلى، وستزودنا

بالخبر اليقيني يوماً بإذن الله.

١ في ختام هذه السياحة الفكرية أودُّ أن أتوجه بكلمة للأخت ليلى بقولي:

أيتها الاخت الكريمة:

إنَّ لديك أسلوباً في الكتابة لا تنكر روعته؛ لكنك يا أختاه كنت في كتاباتك السابقة _المداجن، القبيسيات، الشبكة_ كمن توظف ما وهبها الله إياه من صوت في غير ما يرضي الله، فلو أنك أعدت وضع بوصلة كتابتك أمام عينيك من جديد، وبحثت عن شيء واحد هو نيل مرضاة ربك الأعلى، وتوخيت في كتابتك جمع كلمة المسلمين، وإيصال رسالة إصلاح حقيقية لأمتك من خلال ما تقدمينه من إنتاج؛ فإن الأقلام التي غدت تهاجمك اليوم ستتصدى لمن ينال منك غداً، وستتربعين على عرش الكتابة على نحو ما تربعت أختك من الأردن "إحسان الفقيه"،لا سيما وأنها تقيم مثلك في إستانبول، لكن لديها قلب تعتلج في أعماقه غيرتها على دينها، وحرصها في أن ترى عزَّ أمتها؛ لهذا فإنها تحصد أعلى نسبة في المشاهدات والإعجاب دون أن تحدث جلبة وبلبلة وفتنة.

أما إذا وضعت رأسك في الرمال، وصممت على المضي في طريقك هذا، وبذات الأسلوب، فستخسرين المعركة لأن المؤسسة العلمائية في سورية

على ما فيها من أخطاء لا ننكرها إلا أنها أرسخ قدماً من أن تميد بها الأرض بمقال يأتي من هنا أو بسلسلة مقالات تأتي من هناك..

É كتب هذه المقالة

نزيل المدينة المنورة

محمد محيي الدين حمادة الدمشقي الميداني[1].

---

[1] للتواصل وإبداء الآراء والملاحظات عبر البريد الالكتروني:

m-m-h65@hotmail.com